قالت ...

فاروق جويدة

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

المطابع ١٢ ش نوبار لاظوغلي ت: ٣٥٤٢٠٧٩

المكتبة:
١ ش كامل صدقي الفجالة ت: ٩٠٢١٠٧
٣ ش كامل صدقي الفجالة ت: ٩١٧٩٥٩

دمـــوع الكلمـــات ..

جاءت تزورنـى بعـــد سنـــوات فراق طالـــت . . اقتحمـــت صمتى . . كسرت كل تلال الأيام التى وقفت بينها وبينى طوال هذه السنوات . .

لم تســأل عنى مرة واحدة . . ولم أحاول أن أسأل عنها . . ربما كبرياء رجل . . ربما لأننى لا أريد أن أقتحم حياة اختارتها لنفسها مع رفيق غيرى . . ربـما لأننى أردت أن أنهى الـرواية حسب ما أحب أنا وليس على طريقة مخرجى الأفلام العربية . . كنت أريد أن أبقيها فى نفسى . . كنت أريد أن أجعلها شيئا فى داخلى . . كنت أريد أن تظل صورتها بكل ملامح الجمال والدفء والعطاء فيها .

إننـا عادة نحـاول أن ننسف كل الجســور مع أحبـائنا قبل أن نتركهم . ولكننى كنت حريصا لا أدرى لماذا أن أبقى كل شىء معها فى داخلى .

وجاءت تزورنى . . تغيرت فيها بعض الأشياء . . لم أحاول أن أسبح فى ملامح وجهها . . ولكننى توقفت عند منطقة آمنة أحببتها

فيها : نظرت فى عينيها . . كانت هناك دمعة مصلوبة . . لا هى سقطت . . ولا هى تراجعت . . ظلت حائرة فى عينيها وأنا أنظر نحوها . .

قالت : كيف أحوالك . . ؟

قلت : أعيش لأكتب . . وجدت أن صداقة الكلمة تعوضنى عن أشياء كثيرة لا أجدها مع الناس . .

قالت : وما أخبار قلبك . . ؟

قلت : يذكرك كثيرا . .

قالت : متى . . ؟

قلت : فى كل وقت أشعر فيه أننى وحدى . . وأنا دائم الشعور بالوحدة . .

قالت : جئت أودع معك عاماً . . وأستقبل عاماً . . وأقول لك كل سنة وأنت أسعد . .

قلت : كنت أريد أن أقول لك منذ يومين كل سنة وأنت طيبة . كان عيد ميلادك . .

قالت : أمازلت تذكره . . ؟

قلت : لم أنس أشياء كثيرة معك فكيف أنسى عيد ميلادك . نسيت فقط جنونك القديم . .

قالت : هل كنت مجنونة . . ؟

قلت : نعم . . كنت مجنونة . . وأنا أيضا كنت أكثر جنوناً . .

قالت : حقا . . كنا مجانين يوم أن قررنا أن نفترق . .

قلت : وكيف حالك بعدى . . ؟

قالت : أصبحت أومن أننا نعيش أقدارنا . . لا نعيش حسب ما نحب . . إننا لا نختار شيئا . . إننا فقط ننفذ خطة رسمت لنا وعلينا أن نقوم بها ولا نناقشها . . مثل القطار لا يستطيع أبداً أن يمشى بلا قضبان . إننى أحببتك . . لا أدرى كيف . . وأعيش بعيدة عنك ولا أدرى لماذا . . ولا أعرف ماذا سيحدث غداً . . لقد استرحت بعدك لأننى لم أعد أتساءل كثيراً . .

قلت : وهل التساؤل جريمة . إنه أفضل شىء فى الإنسان . .

قالت : لقد حملتنى معك إلى تساؤلات بلا إجابة . . فاحترت أنت . . وتمزقت أنا . .

قلت : لماذا لا تسألين عنى . . ؟

قالت : لا أنا حبيبة . . وفشلت أن أصبح صديقة لهذا فضلت أن أبقى بعيدة . . مازلت أشعر بألم شديد كلما سمعت أخبارك أو قرأت عنك حتى قصائدك أشعر بنزيفها فى

صدرى ، وكثيراً ما أتوقف ولا أستطيع أن أكمل القصيدة . .

قلت : هل أراك قريبـاً . . ؟

قالت : ربما . . لا أستطيع أن أعدك . . شعرت بشوق جارف إليك كثيرا ما أشعر به . . وضعفت اليوم فقط رغم أننى قاومته سنوات .

قلت : لن تصدقينى . . ولن يصدقنى أحد إذا قلت لك أننى كنت أفكر فيك فى نفس اللحظة التى وجدتك فيها أمامى . .

قالت : الحب الحقيقى لا يمـوت . . يتوارى فى داخلنا . . يشعر بتجاهلنا له . . ولكنه فجأة يصيح فى داخلنا . .

قلت : نسيت أن أطلب لك فنجاناً من القهوة . .

قالت : ربما نشربه معا بعد أعوام . .

قلت : مازال فيك تفاؤلك القديم . .

قالت : مازلت تقول أنك لن تعيش طويلاً . .

قلت : لم يعـد يعنينى العمـر . . العمر ليس سنوات نعيشها . . العمر أشياء تعيش فى داخلنا لأن هناك أشياء لا نذكر منها شيئاً . . وأنا أعيش معك دائماً . .

ألم أقل لك يوما :

سوف ألقاك حياة . .

فى زمان ميت الأنفاس . . ممسوخ الرفات . .

سوف ألقاك عبيرا . .

بين يأس الناس عذب الأمنيات . .

دائماً أنت بقلبى . .

رغم أن الأرض ماتت . .

رغم أن الحلم مات . .

ربما ألقاك يوماً . .

فى دموع الكلمات . .

الحـب الطـــازج

تواری بريق عينيها خلف سحابات الحزن المتدفق على كل ملامح وجهها . . كان الوجه شاحبا . . والعينان سابحتين فى تساؤلات كثيرة حائرة . .

سألتها : هل هذا هو قرارنا الأخير ؟

قالت : لا أجـد بديلاً عنه . .

قلت : ولكن الحب أكبر من كل خلافاتنا . .

قالت : أحيانا تنقطع الأشياء بين أيدينا ولا ندرى سبباً لذلك .

قلت : فلنحاول مرة أخرى أن نجمع أشلاء هذا الحب الذى يوشك أن يضيع . .

قالت : أنا لا أحب أنصاف الأشـياء . . هناك فقط الحب واللاحب . .

قلت : ولكن الأشياء لا يمكن أن تموت بهذه السرعة . . هذا قرار بالإعدام . .

قالت : أحياناً يكون الموت أفضل الحلول . .

قلت : ولكن الحياة مهما كانت . . حياة . .

قالت : ماذا تساوى زهرة ميتة . . وماذا تساوى شجرة لا خضرة فيها . . وماذا يساوى إحساس مات فى داخلنا . . الأفضل أن نواريه التراب وأن نسدل عليه الستار فى أعماقنا . .

قلت : ولكننا ما زلنا معا . . ونستطيع أن نفعل شيئاً قبل أن نسدل هذا الستار . .

قالت : أحب أن أبقيك فى نفسى شيئاً . . أن تظل صورتك القديمة . . أن أراك فى ذاكرتى كما رأيتك منذ سنوات بعيدة . . أن يخفق قلبى حينما أسمع اسمك . . أن تلهث* أنفاسى كلما عادت أيامك تطل فى رأسى . . أريد أن تبقى حيا فى داخلى ولن أقبل أن تموت وأنت أمامى . .

قلت : أنا لا أكاد أصدقك . . كيف نحب . . ونفترق . . كيف نشتاق لنتعذب . . كيف نحيا . . ونموت . . ؟

قالت : ما قيمة أن أراك . . ولا أشتاقك . . وما قيمة أن أحب . . وأنا أراك شيئا غير الذى أحببته . . الفرق بينى وبينك أننى أحب الأمس فيك . . وأنت تحب اليوم . . وأنا أملك أمسى . . ولكننى لا أملك يومى . .

كنت أحبك بالأمس . . أنا صادقة . . ولكننى

لا أضمن أن أحبك اليوم أوغداً . . إننى أحب أن يظل للأشياء بريقها . .

قلت : وما الفرق بين إحساس الأمس وإحساس اليوم . . وغداً . . الحب هو الحب سواء كان ماضياً أم حاضراً أم مستقبلاً . .

قالت : إننى أملك الأمس وحده . . هو جزء من عمرى وإحساسى . . ولكننى ربما أحب غيرك غدا وتصبح أنت شيئا من الذكرى . .

قلت : ولكنى لا أرى فى ذلك حباً . . أن تكونى معى بماضيك ومع إنسان آخر بحاضرك أو مستقبلك فهذا شىء غريب . .

قالت : لأننى أحب الأشياء الطازجة . . أنا لا أحب أن آكل من الثلاجة . . وكل تجربة جديدة شىء جديد . . ليس معنى ذلك أننى نسيت من أحببت ولكن . . لكل وقت مشاعره . .

قلت : وأنا أودعها . . هذا هو الحب الجديد فى هذا الزمان ، فالناس تريد الحب الطازج . .



على غير انتظار

أعلم يا حبيبتى أن أحزاننا كثيرة . . وأن رصيد أحلامنا أصبح قليلاً . .

أعلم أننا نعيش فى زمان غريب استباح كل الأشياء . .

أعلم أن زماننا أبخل من أن يمنحنا ساعة صفاء جديدة . .

إننا ما زلنا نتسكع فى الطرقات نستجدى زماننا البخيل حلماً جديداً . . إن سحابات الدخان تطارد أنفاسنا مع مطلع كل صباح . .

وإن نسائم الربيع الراحل تهفو أحياناً فتذكرنا بعمر مضى وليس لنا الحق فى استرجاعه . .

أعلم أن ليالى الشتاء تحمل معها أحزان أيامنا وها نحن قد ودعنا عاماً من عمرنا . .

ها هو العام تسرب فى خجل من بين أيدينا وأعلن رحيله . . إنه لن يعود بعد اليوم ولن نراه . .

فتعالى نصافحه . . تعالى نحدق فى ملامحه التى لن نراها قبل أن تغيب . .

تعالى نحاول أن نستعيد معه بعض تذكاراتنا قبل أن يمضى . .

سوف نجلس ذات يوم ،ربما نجلس معاً . . ربما يجلس كل منا وحيداً يراجع دفاتر أيامه . .

وسوف نذكر لهذا العام شيئاً رائعاً . . سوف نذكر له أننا تلاقينا تحت ظلاله . . وأننا ضحكنا فيهاوحلمنا معه بعد أن تضاءل رصيد أحلامنا ، وأننا رأينا فيه شروقاً جميلاً . . وغروباً أجمل . .

لقد أعطانا هذا العام شيئاً من الدفء رغم أن صقيع أيامنا كان طويلاً . . سوف نذكر لهذا العام أنه أعطانا أشياء كثيرة جاءت على غير انتظار . . وأجمل الأفراح هى تلك التى تجىء على غير انتظار . . وأسوأ الأحزان هى أيضاً تلك التى تجىء على غير انتظار . .

وعامنا الراحل جاءنا بأشياء جميلة جاءت على غير موعد . .

كانت أحلامنا قد أفلست . . وتوقفت نبضات كثيرة فى أعماقنا . . وغابت المساحات الخضراء حولنا . . واكتست أيامنا بسحابات حزن خانقة . . وأغلقت القلوب أبوابها وأعلن الجميع إغلاق كل نوافذ الحب فى أوطاننا ، بعد هذا كله جئت أنت لكى نبدأ من جديد فى تطهير القلوب من أوجاعها وحطام الأيام فيها .

جئنا لنغرس فى شوارعنا الخالية أشجاراً جديدة . . لقد استباح زماننا رقاب كل الأشجار . . وأصبح الصمت والخوف والوحشة شبحاً يطاردنا فى كل مكان . .

لكننا عدنا مرة أخرى نرفع راية العصيان أمام الحياة لنعود لأنهارنا السجينة . . وها هو الأمن يتسلل إلى كهوف أيامنا . .

لست واهماً ولا حالماً ولا مجنوناً يحاول أن يرى الخرائب أشجاراً أو أن يرى الصحراء أنهاراً . . ولكننى كنت دائماً على يقين أننا نرى العالم من داخلنا . . وأننا نرى الجمال فى أعماقنا قبل أن نراه على وجوه النـاس . . وأن أعشاب القبح تنبت فى نفوسنا أولا وتتسلل إلى كل شيء حولنا . .

إن الإنسـان الذى يغرس القبح لا يمكن أبداً أن يكون أرضاً للجمال . . فالأعشاب لا تنبت الزهور . . والزهور لا تقبل أبداً أن تعيش بين الأعشاب . .

عام مضى تعالى نعانقه وهيا نصافح أياماً جديدة ونحلم معها بعالم جديد لا يوجد للقبح فيه مكان . .

آه يا زمن المهانة

قالت : ما الذى يجعلك حزيناً . . ؟

قلت : أشعر أننى جئت فى غير زمانى . . كنت أتمنى أن أعيش زماناً آخر . .

قالت : وأى زمان تمنيت أن تعيشه . . ؟

قلت : ليس هناك زمان بعينه تمنيت أن أعيش فيه . . ولكننى أشعر أننا نعيش أحط عصور التاريخ . . لا أعتقد أن هناك فترة فى تاريخنا كله تتشابه مع الزمن الذى نعيشه اليوم .

قالت : ولكن الإنسان هو الذى يصنع زمانه . . فإذا كان زماننا رديئاً فنحن الذين صنعناه . .

قلت : طبيعة الأشياء تقول ذلك . . ولكن الذى حدث غير ذلك تماماً . .

طبيعة الأشياء تقول أن الأجيال تسلم الراية لبعضها البعض . . وأن مسئوليات التاريخ توزع على سنوات الزمن ويصبح لكل جيل

دوره ومشاركاته سلباً وإيجاباً . . ولكن الـذى حدث أن هناك جيلاً أمسك برقبة التاريخ ولم يتركه ولم يتركنا حتى الآن رغم كل ما حدث من كوارث . .

إن الممثلين يرفضـون أن يتركـوا المسرح رغم أن الرواية انتهت وألقى الجمهور على الممثلين آخر الزجاجات الفارغة . .

قالت : ولكن . . ألا تعتقد أنها مسئوليتنا جميعاً . . مسئولية من قرر ومن شارك . . ومن نفذ . . ومن وافق . . ومن تجاهل . . ومن صمت . . ؟

قلت : هذا حق . . ولكن المسئولية تختلف . . لأن من قرر يتحمل المسئولية المباشرة، ومن صمت يتحمل مسئولية صمته . . وهو نوع من السلبية وليس نوعاً من المسئولية . .

قالت : ولكن المسئولية علينا جميعاً . .

قلت : فى أحيان كثيرة كان الصمت هو الاعتراض الوحيد . .

قالت : هـــذا جبن . .

قلت : هـــو كذلـك . .

قالت : ومع الصمت ارتكبت خطايا وأخطاء كثيرة . . إن الصمت هو أوسع الأبواب التى يدخل منها جبابرة التاريخ . . كلهم دخلوا من بوابة الصمت . . الصمت هو المعادل الموضوعى

للموت . . لأن الموتى لا يتكلمون . . حتى الحيوانات تتفاهم وتتحاور وتتكلم مع بعضها البعض . . وحين يصبح الصمت هو لغة الأحياء فإنهم يسكنون قبراً كبيراً وإن كانوا يأكلون ويشربون ويعيشون . .

قلت : ومن قال أننا أحياء . . الموت لا يعنى أن يتوقف قلب الإنسان . . الموت الحقيقى أن يفقد الإنسان القدرة على أن يصرخ . .

الموت الحقيقى أن يتساوى صمته مع كلامه . .

الموت الحقيقى أن تتساوى لحظات المجد ولحظات المهانة . . وقد تساوت والله فى زماننا الكئيب . .

الموت الحقيقى ألا يفرق الإنسان بين موقعه بين السحاب أو موقعه تحت الأحذية . .

الموت الحقيقى أن تتحول الصفعات إلى قبلات ونفقد قدرتنا على أن نميز بين الأيدى التى تصافحنا والأيدى التى تصفعنا . .

ألاّ نفرق بين من يلقون علينا الأزهار والورود ومن يضعون أنوفنا فى سلة القمامة . .

يا سيدتى نحن نعيش عصر القمامة . .

قالت : أراك متشائماً . .

قلت : فى عصور الانحطاط يصبح من الصعب على الإنسان أن يفـرق بين الحلم والـوهم . . والحلم ظاهـرة صحية . . والوهم مرض لابد أن نعالج منه فى مستشفيات الأمراض العقلية . . وبما أننا فقدنا الحلم فلابد أن يكون الوهم هو البديل . وحتى الآن لا أعتقد أننى فعلت شيئاً يدفعنى إلى مستشفى الأمراض العقلية . . هناك من هم أحق منى بذلك . .

قالت : من هــؤلاء . . ؟

قلت : الذين ألبسونا أثواب المهانة وهم يعلمون . . والذين باعوا أقـدس الأشياء فينـا . . باعـوا كرامتنـا وشمـوخنا ونضارة عمرنا . . صدقينى أننى أصبحت أدرك الآن أكثر من أى وقت مضى من هم أعـداؤنـا الحقيقيون . . لقـد تساوت الرءوس والأدوار والمواقف . .

قالت : من هـــم ؟

قلت : فى أى جهـاز مبـاحث تعملين ؟



وتهـون الأرض إلا موضعا

الأماكن مثل أيام العمر . . نعيش كثيراً ولا يبقى فى أعماقنا غير مسـاحات ضئيلة من الزمن نشعر بيننا وبين أنفسنا بأنها ذات قيمة خاصة وتستحق أن تعيش .

كذلـك الأمـاكن . . يزور الإنسـان بلاداً وبلاداً ويرى أوطانا وأوطانا ويتعرف على ملامح كثيرة فى بلاد كثيرة ولا يبقى فى ذهنه غير أماكن محددة يذكرها ويعود إليها ويسترجعها دائماً مع نفسه . .

ولقد كان شوقى بارعاً حينما قال :

قد يهون العمـر إلا ساعـة
وتهـون الأرض إلا موضعاً

فقد لا يبقى من العمر الطويل غير ساعات قليلة يذكرها الإنسان ويعيش عليهـا . . وقـد لا يبقى من الأرض رغم اتساعها غير قطعة صغيرة فى أعماق الإنسان كأنها بعض منه .

والسبب فى ذلك كله أن الأشياء عادة تحسب بآثارها . . فليست كل الأحداث فى حياة المرء ذات قيمة واحدة . . نساء كثيرات يعبرن فى حياة الرجل ولا يبقى فى داخله غير امرأة واحدة يشعر أنها كانت غير كل النساء . ربما يذكرها فى أشياء صغيرة . . رائحة عطرها كلما عبرت ولو كان العطر يطوف على امرأة أخرى فى الطريق أو المصعد أو دار السينما . . قد يذكرها فى أغنية بسيطة تعيد لنفسه عمراً لا يستطيع أن يسترجعه . . إنها خيال دائم المطاردة . . إذا هربنا منه واقعاً عاد إلينا وهما . . وإن هربنا منه وهما عاد لنا ذكرى لا نستطيع ولا نحب أن تصبح مثل كل الأشياء العابرة فى حياتنا .

والذاكرة هى الشىء الذى فضل الله تعالى به الإنسان على كل مخلوقاته . . الذاكرة هى التى تحفظ الأماكن . . وتسترجع الذكريات وتعيش الأمس حيا نابضاً كأنه اليوم .

ولهذا أحسد كثيراً أصحاب الذكريات الكثيرة . . لا أحسد أبداً أصحاب الأرصدة ولكننى أحسد كل إنسان استطاع أن يعيش عمره حسا وخيالاً . . إن ذلك هو الثراء الحقيقى . وهو الذى يفرق بين إنسان جاء الحياة ومضى فى صمت . وإنسان آخر جاء الحياة وعاشها طولا وعرضا . فالبداية واحدة . . والنهاية أيضاً واحدة . . وما بينها مجموعة ذكريات قد تتلاشى . . وقد تعيش .

وأصحاب المواهب الكبرى فى التاريخ وعظماء الفكر والفن كانوا

أناساً استطاعوا أن يزيدوا رصيد ذكرياتهم فى الحياة . . ولعل السبب فى ذلك أن الفنان إنسان يعيش على رصيد ذكرياته لأنه لا يملك شيئا غير تجاربه تلك التى تعيد إليه النبض كلما هدأ . .

وفى مراحل التراجع الفنى فى حياة كثير من الشعراء والكتاب يتضح لنا أن السبب فى ذلك حالة فقر حادة تصيب ذاكرة الفنان . . فليست فيها أحداث كبيرة تهز مشاعره . . وليست فيها أحلام كبيرة تتعثر حينا وتنطلق أحيانا . . وليست فيها ذكريات شامخة فى أعماقه . . ولهذا يموت الفنان وهو حى يرزق لأن رصيد تجاربه وحياته يتراجع كل يوم .

من أجل هذا يحاول الإنسان أن يجمع أكبر رصيد ممكن من الأماكن التى يذكرها والأيام التى يقف متحسراً أمامها وهو يتمنى لو كان العمر يعود للوراء . .

فالأماكن ليست مجرد أكوام من التراب نطوف حولها مثل المقابر . . ولكن الأماكن كيان نابض بالإحساس . . إنها تستوعب أعمارنا جميعاً عبر قرون وقرون . .

ولهذا يحتفل العالم كله بالأماكن الهامة فى حياته . . وحياة شعرائه وكتابه وفنانيه . .

فى لندن مقهى عتيق يزوره الناس فى إنجلترا لأن عددا كبيراً من الكتاب الإنجليز كانوا يكتبون فيه . .

وفى مدينة فرانكفورت مطعم عتيق كان « جيته » يحب أن يكتب فيه ومازال المقعد والمائدة اللتان كان « جيته » يكتب عليهما فى جانب من المطعم .

وفى القاهرة تزور كرمة ابن هانىء بيت أمير شعراء العربية « أحمد شوقى » فترى تاريخاً طويلاً شامخاً أمامك . . كلمات شوقى . . وحجرة نومه . . ومكتبته . . ومكتبه .

وفى الهند تجد بيت « طاغور » وقد تحول فى مدينة كلكتا إلى جامعة عريقة وفى جزء منها بقايا الرجل . . أقلامه وملابسه وكتبه . . كلها أشياء تحمل عبيراً من شاعر الهند العظيم . .

ويرحل الناس وتبقى الأماكن تذكرنا بأشياء كثيرة ربما نسيناها . . إنها شاهد يدق فى آذاننا دائماً وكلما عدنا إليها عادت معها الذكرى . .

دارت كل هذه الأفكار فى رأسى وأنا أسمع أغنية سمعتها منذ عشرين عاماً بصوت من أجمل الأصوات التى عبرت فى تاريخ الغناء العربى . . كانت الأغنية « يا مسافر وناسى هواك » . . وكان الصوت ليلى مراد . . وكان المكان ربوة عالية على شاطىء البحر فى مدينة مطروح .

محطـة بـلا قطــار

كأننا كنا على موعد . . ربما تأخر اللقاء كثيراً . . عشر سنوات. مضت يا له من عمر طويل . أمواج من الناس تندفع نحو عربات القطار المسافر إلى الإسكندرية . منذ مدة طويلة لم أسافر بالقطار رغم الصـداقـة القـديمـة التى تربط بيننـا . لكننى كنت على موعـد للإسكنـدرية لعله تأخـر هو الآخر بعض الوقت . وحملت حقيبتى وأخذت أتزاحم مع المتزاحمين بعد أن أصبحت حياتنا كلها زحاماً فى زحام ابتداء بطوابير الجمعية للحصول على قطعة جبن وانتهاء بوسائل المـواصـلات والتـاكسيات حتى عربـات الموتى أصبحت تعانى من مشاكل الزحام . .

كانت هى الأخرى تحاول أن تشق طريقها لكى تأخذ مكاناً فى القطار ولم أشعر بنفسى وتيارات الناس تدفعنى شمالا ويميناً . أخطو خطوة للأمـام وسرعـان ما أشعر أن هناك من يحاول أن يجذبنى إلى الخلف . إنها مشكلة . أصبحنا مجتمعا يمسك دائماً بخناق كل من يحاول أن يخطو للأمام خطوة : ورغم التزاحم الشديد كنت أشعر أن

عينى قد توقفت عنـد شىء واحـد . صورتها وهى تقترب من باب القـطار ، لعـلى لم أرها منذ مدة طويلة . كان آخر لقاء بيننا يوم أن تصافحنا على أبواب الجامعة يتمنى كل منا للآخر مستقبلا أفضل . جمع الحب بيننا أربع سنوات كاملة . . لعل هدوءها كان دائماً يقربنى إليها . . وكانت تتمتع بشفافية عجيبة وتحب الشعر والموسيقى وكثيراً ما كانت المناقشات تلتهب بيننا فى حوار حول قصيدة أو رأى لكاتب إنها مشكلة . . لم يعد فى حياتنا الآن ذلك الفكر الذى يسير جدلاً أو يلهب حواراً . . .

إنها لم تخدعنى يوم أن صارحتنى بأننا لا يمكن أن نتزوج . فهى من أسرة غنية وتريد لها زوجاً غنياً . . وأنا شاب جاء من أعماق الريف لا يملك أكثر من قوت يومه . . والجامعة منبت خصب للأحلام . نحلم فيهـا كثـيراً . ونحب أكثـر وتحملنا مجانية التعليم من أقاصى القرى والنجوع لكى تلقى بنا بقسوة داخل الحرم الجامعى بأضوائه التى يشـوبها الكثير من الضجيج . ونتعلم مع دقات ساعة الجامعة كيف نحلم ، ولكننا بعد ذلك ندرك الحقيقة وسرعان ما تذوب أحلامنا فى شوارع الحياة فلا يبقى منها شىء . تترك الحبيبة حبيبها على أول محطة قطار بعد التخرج من الجامعة لكى تتزوج الإنسان الذى يمنّحها الحياة الهـادئة ويوفر لها القدر الأكبر من الاستقرار . والفتاة الشرقية تحب الزوج « المستريح » وليس للحب المجرد قيمة كبيرة فى حياتنا .

كل هذه الخواطر مرت على ذهنى وأنا أراها تقترب من باب القطار . لم يتغير منها شيء . ما زالت أناقتها وملامحها الهادئة . . واحتفظت برشاقتها . . ولمحتنى من بعيد . وكادت تطير مثلى وأخذنا نقترب فى وسط الزحام . .

وحملنا تيار الزحام إلى داخل القطار . وأخذنا مقعدين متجاورين . وبدأت تحكى أخبارها وأنا أسمع .

قالت : لقد أصبحت كاتباً مرموقاً إننى أتابع كل ما تكتب .

لم يكن لدى ما أريد أن أقوله غير أن أنظر فى بريق عينيها . إحساس عميق خاصمنى منذ عشر سنوات مضت . كانت واحة أيامى إذا اشتد الظمأ . ومهبط أحلامى إذا تعثرت الخطى .

قلت : ألم يكن من الممكن أن تجمعنا الأقدار يوم أن فرقتنا . لقد حققت بعدك الكثير لكننى كنت أشعر أن أهم ما كان يمكن أن أحققه قد ضاع منى . كان حبك أكبر من كل أحلامى . . وكنت المعركة التى ندمت كثيراً لأننى خسرتها . . رغم أننى كسبت بعدها معارك أخرى . .

كان القطار سريعا ـ على غير عادته ـ وهو يندفع بنا نحو الإسكندرية ومشاعرنا أكبر من كل الكلمات . وأخبار وأحداث كثيرة

نريد أنّ نحكيها . . وكان الوقت يمضى سريعاً . ودخان سجائرى يملأ المكان . . وأكواب الشاى والقهوة لا تختفى ملامحها من أمامنا . مدينة طنطا . . تتبعها دمنهور والركاب يتزاحمون فى النزول والركوب وأصوات الوداع واللقاء تعبث بآذاننا . وتقاطع أفكارى متسائلة :

هل تأتى إلى الإسكندرية كثيراً رأيتك أكثر من مرة فى التليفزيون ، لم يتغير فيك شىء . أشترى من كل كتاب يصدر لك نسختين . . واحدة لكى أقرأها والأخرى أحتفظ بها لابنى . . إنه يحب الكتب ولكنه صغير لم يتجاوز عمره الآن تسع سنوات . أريد أن يكون مثلك كاتباً مفكراً ، أحلامنا التى لم تتحقق أحاول أن أغرسها فيه . إن زوجى لا يحب الكتب والثقافة إنه رجل أعمال كبير . له فى المال والأرقام فقط وليس له فى الكتب . . وهذه مأساة أغنياء هذه الأيام .

وتركتها تحكى كل ما تريد ، كنت أريد أن أسمع صوتها يتسلل داخل أعماقى . وبينما أنا غارق فى صوتها بدأت ملامح الإسكندرية تظهر وأفقت مرة واحدة . لن أتركها تمضى منى هذه المرة . لماذا لا نجتمع مرة أخرى . . كلانا يحب الآخر .لقد افتقدتها كثيرا . إنها المعركة الوحيدة التى خسرتها فى حياتى ، كانت هذه الأفكار تتوافد فى ذهنى باندفاع جنونى والقطار يهدأ وتتكاسل خطاه رويداً رويداً فى

محطة سيدى جابر ، ونظرت نحوى وهى تمسك بحقيبتها وقالت :

شئ عجيب . . ترانا خلقنا لكى نتعذب ، افترقنا منذ عشر سنوات . والآن يجمعنا القطار لكى نفترق .

واقتربت منها لكى أقول ما يدور فى خاطرى : وقطع لحظة الصمت صوت غليظ تسرب بيننا . . حمداً لله على السلامة يا هناء . أهلاً يا محمود . . ونظرت نحوى . . محمود زوجى . . الأستاذ . . الكاتب المعروف . . !!

هل مات حبنا ؟

سنوات غياب طويلة فرقت بيننا . .

لم أستطع أن أنتزعها من نفسى . .

لقد ظلت كما كانت دائماً . . نقطة من نقاط الضوء تسللت فى غفلة وأضاءت فى حياتى كل شىء . . ثم رحلت . .

لم أكن محظوظاً يوم أضاءت . .

ولم أكن محظوظاً يوم رحلت . . لقد أضاءت لتترك بعدها صمتاً وفراغاً . .

ورحلت لتترك بعدها حزناً ووحشة . .

غريبة هذه الحياة . . تجمعنا بوجوه كثيرة تتعدد أشكالها وألوانها وصفاتها . . ولا نجد أنفسنا إلا فى وجه واحد حتى يخيل إلينا أننا نرى العالم من خلاله . .

تتشابه أمامنا كل الوجوه . . وتتوحد أمامنا كل الصور ونشعر أن الضوء لا يصل إلى عيوننا إلا من خلاله .

وأن الدنيا تدور بنا وتدور لكى تحملنا ولو بعد عشرات السنين لنجد أنفسنا أمام صورة قديمة لا نراها خارجنا لأنها تعيش فى أعماقنا . .

وجه وحيد نراه . . ونظل نطارده بقية عمرنا . . نحاول أن نسترجع الأيام ونستعيد الزمن . .

نحاول أن نوقف مسيرة الأشياء والحياة ولا نستطيع . . ولا نملك شيئاً أمام هذا كله غير أن نجمع أشلاء أيامنا الراحلة ونعيش عليها . .

دارت فى رأسى كل هذه الأشياء وأنا لا أصدق أننى أراها . . فرقتنا سنوات طويلة . . غيرت فينا أشياء وبقيت فى داخلنا أشياء . . تغير العمر والحلم والسعادة . . وبقى الصدق . . إننا لا نحب فقط صدق الآخرين . . إننا نحب قبله صدقنا مع أنفسنا . .

لقد بقيت فى داخلى شيئاً لا يتغير . . كأنها أغلقت على نفسها باباً فى أعماقى يوم رحلت ولا يملك أحد غيرها حق الدخول إليه والاقتراب منه .

ما زال بريق عينيها وإن كانت الأيام قد تركت خلفه بقايا حزن . . ما زال عطرها الذى أعرفه . . وإن كانت الأيام قد جعلتنى أكثر اشتياقا له ولها . .

وما زالت ابتسامتها وشموخها القديم . .

أحيانا نشعر أننا غرباء عن كل الأشياء حولنا . . وأسوأ أنواع

الغربة أن تشعر أنك غريب عن نفسك . . هناك فواصل تقف بينك وبينها . . هناك سدود تقطع التواصل . . وقد نحب أنفسنا فى شخص آخر . . كما نحب عمرنا فى أعمار غيرنا . .

إن الغربة ليست ظواهر هجرة أو بعد أو فراق . . فليس كل مهاجر غريبا . . وليس كل غريب من ودع أرضاً أو وطناً . . لأننا قد نصبح غرباء ونحن لم نودع أوطاننا . . وقد نهاجر وإن كنا مقيمين .

ما قيمة أن نحب وكل الأشياء حولنا لا تؤمن بالحب . . ما قيمة أن تغنى ولا تجد أحداً يسمعك . . ما قيمة أن نتمسك بالأمانة ونحن نعيش بين اللصوص . . أو نتمسك بالشرف فى بيوت السوء . . كل هذه الأشياء تجعلنا دائماً غرباء . .

إننى لا أحب فيك امرأة تسللت إلى أعماقى يوماً . . وأخذت بعض سنوات عمرى ورحلت . . إننى أحب فيك زمانا واسعاً من الطهر والأمن والصفاء . .

لقد أحببت فيك لحظات صدق لا أستطيع أن أعيشها الآن . . أحببت فيك زمانا من البراءة فى غابة متوحشة . . أحببت فيك عمرى وزمنى الذى لن يعود .

قالت : ماذا بقى منى ؟

قلت : كثير من الحزن . . قليل من الحلم . . وسؤال حائر لم أجد له جوابا . . لماذا افترقنا ؟

قالت : لأن إحباطات زماننا كانت أقوى من كل نبض مشاعرنا .

قلت : ولكن الحب أقوى من كل شيء . .

قالت : هذا كلام الشعراء . . الحب يقتل مثل كل الأشياء . . إذا كنا نقتل الإنسان . . ألا نستطيع أن نقتل الحب ؟

قلت : الإنسان جسد يرحل . . ولكن الحب مشاعر تبقى .

قالت : الحب يتنفس مثل كل الأشياء ويختنق أيضاً مثل كل البشر . .

قلت : ولكنه يعيش في داخلنا . .

قالت : ويموت أيضاً في داخلنا . . لا نستطيع أن نبقيه ولا نستطيع أن نتخلص منه . . ونموت معه . .

قلت : هل مـــات حبنـــا . . ؟

قالت : نحن الذين متنا بعـــده . .

حينما يصبح الشرف غريبا

قالت : أراك حزينا هذه الأيام . .

قلت : لأن أحوال الزمن لم تعد تناسبنى . . أسوأ الأشياء أن نغنى ولا يسمعنا أحد . . وأن نعرض بضاعة لا يشتريها أحد . .

قالت : وماذا تبيع الآن . . ؟

قلت : الصدق . . سلعة غير مرغوب فيها على الإطلاق . .

قالت : ولماذا تغنى . . ؟

قلت : أغنى لكى أصنع حلما . . والحلم فى هذه الأيام ممنوع تداوله بين الناس . هناك قرار بحظر تجول الأحلام فى أعماقنا . .

قالت : أعتقد أن مشكلة الشعراء أنهم قوم يبالغون فى الأشياء . . يبالغون فى أفراحهم إذا فرحوا . . وفى أحزانهم إذا حزنوا . . المشكلة فيكم أنتم أيها الشعراء وليست فى الناس . .

قلت : المشكلة حقا فى الشعراء . . لأنهم يريدون الصدق فى زمان كاذب . . ويريدون النقاء من الخطيئة ويريدون الجبال من

السفـوح . . ويريدون الأمانة من اللصوص . . ويريدون الحق . . وكل شىء حولهم باطل . .

قالت : ألا يكـفـيكـم ما أنـتم فيه . . الشهـرة . . والمجـد . . والحب . . ماذا تريدون أكثر من هذا . . ؟

قلت : لا نريد المجد ولا نريد الشهرة ولا نريد الحب . . كل الذى نريده إنسـان يدرك معنى الصـدق والـترفع والفضيلة . . إنسـان يفرق بين الحق والضلال وبين اللصوص والشرفاء وبـين صناع الفضيلة وقطاع الطرق . . نريد بشرا نعيش معهم . . وهذا زمان قطاع الطرق . .

قالت : فى الحياة دائما الأبيض والأسود . . ومتى كانت الحياة كاملة فى كل شىء . . حتى الأنبياء لم يسلمـوا من شرور الحياة سواء كان ذلك كذباً أو ضلالاً أو عقوقاً . .

قلت : كان فى الحياة الأبيض والأسود . . ولكن الناس كانت تميز بين هذا وذاك . .

كان الحق والباطل . . والناس تعرف الفرق بين هذا وذاك . .

كان قطاع الطرق أفراداً . . والشرفاء بالملايين ولكن أسوأ الأشياء أن يصبح النهار ساعة والليل أياماً طويلة . .

وأن يصبح الشريف غريباً . . والأمين منبوذاً . . وقطاع الطرق فى كل مكـان ، إذا لم نستـطع أن نغـير الحياة . . فلا أقـل من أن

نحـــاول . . يجب ألا نفقـــد قدرتنـــا على شرف المحـــاولـــة . . وإذا فشلنا . . فيجب أن نعيشها كما نريد وليس كما يراد لنا . .

قالت : وكيف ستعيش حياتك . . ؟

قلت : ألا أفرط فى صدقى . . وألا أفقد إيمانى بأن الأعشاب لن تصبح أبداً أشجار نخيل . . وأن قطاع الطرق لن يصيروا أنبياء . . وأن التمســك بالفضيلة فى زمن الـرذيلة . . هو أعظم الأشياء . .



عـودة المتمـرد القـديم

قلبى يحاورنى كثيرا . . ولذلك نختلف . .

وتجـاربنا ومحاوراتنا تؤكد رأيى فيه دائماً . . وتؤكد موقفه منى .

فنحن على خلاف وإن ظهر فى تصرفاتنا غير ذلك . .

إذا أحب . . اندفع وأنا أدعوه للانضباط . .

وإذا أعطى أسرف . . وأنا أطالبه بالاعتدال . .

وإذا صدق أخلص . . وأنا أقول له تريث قليلاً . .

ونختلف . . ويتمسك هو برأيه . . وأتمسك أنا برأيى . وأتركه يفعـل ما يريد . . وأراقبـه من بعيد . . حتى إذا سقط مغشياً عليه ذهبت إليه . . وأخـــذت بيده وداويت جراحـه . . وكثـيراً ما سقط منى . . وكثـيراً ما رأيت الكـدمـات على وجهـه والـدماء تسيل من رأسه . . وأقول لنفسى غداً يكبر وينضج ويفهم الحياة . .

مرات كثيرة أشفقت عليه . ولكننى كنت أقول بينى وبين نفسى

دعه يتعلم . . وكلما خرج وأفلت منى وحاول أن يتعلم جاءنى بجرح جديد . .

ولم أعد أجد للخلاف مبرراً فهو يصر على كل ما يريد وأنا لا أتحمس إطلاقاً لمحاولاته وبحثه عن ذلك المجهول . .

قلت له يوما : مأساتك يا قلبى أنك تحلم كثيراً مثل كل الشعراء ولكن يجب أن تفرق بين الحلم الذى تراه والواقع الذى تعيشه . لن تجد فى الأرض تلك المرأة التى تصورتها خيالا . . لن تجد ذلك الحب الذى غنيته شعراً . .

واتفقنا أن نعيش الواقع معاً . . وأن يبقى الحلم بين أوراق دفاترنا . .

ولكنه يخلط الأمور كثيراً ويتعبنى معه . .

وبعد محاورات وصلنا إلى نتيجة . . تركت قلبى للشعر وعشت الحياة مع الناس . . وكثيراً ما كنت أصحبه معى نطوف الشوارع ونضع أقدامنا فى الطين ، حتى لا يظل يحلم بعيداً عن الناس . . كنت أريد منه أن يحتفظ ببراءته ونقائه . . ولكننى كنت أريد أن أرى فى قدميه بقايا من الطين وفى راحتيه أحزان الناس ومعاناتهم . .

ووصلنا إلى صيغة متوازنة . . أن نحلم معاً بكل ما نريد وأن نرى العالم كما نحب أن نراه . . وأن نعيش الحياة كما هى . .

وغـرق قلبى فى هموم الناس ولم ينس حلمه .. وأخذته أمواج عاتية من أحزان كثيرة تحاصر زماننا المختل عقلياً .. ولم يفقد براءته ..

ومـــا زال ينـدفـع كلما أحب .. ومازال يسرف فى عطائه كلما أعطى .. وما زال يتمسك بصدقه القديم فى عالم من الزيف والدجل .

ولم نعد نختلف كثيراً ..

تعلمنـا من تجاربنا السـابقـة .. وكـبرنا معا .. وأصبح العمر لا يتسع لتجارب جديدة .. فتوقفنا ..

وكلما جاء طارق جديد يسـألنى هل نفتـح البـاب . أقـول له ضاحكاً : أصبحت لدينا الآن مناعة ضد كل الأوراق المزورة وخدع السينما ومسلسلات التليفزيون .

جاءنى أخيراً وقال لى : أشعر بضوء خافت ينساب داخلى .. ماذا أفعل ؟

قلت له .. انضبط ..

قال لى : أشعر برغبة فى العطاء ..

قلت له : اعتـــدل .

قال لى : أريد أن أخلص ..

قلت له : فى حـــدود . .

ولم يسمع كلامى ومضى . .

وتركنى قلبى وعاد لتمرده القديم . .

وما زلت واقفاً أرقبه من بعيد وأتمنى ألا يعود لى بجرح جديد .

زمن قصير القامة

نحن نعيش زمانا قصير القامة . . وما أسوأ أن نعيش الزمن القزم . . لأن الزمن القزم يختار من هم أقصر قامة منه . .

وتقصر الأشياء أمام أعيننا حتى تتحول أحجام بعض الناس إلى عقلة أصبع .

زماننا قصير القامة فى مواهبه . . قصير القامة فى مواقفه . . قصير القامة فى خلقه وترفعه . .

والإنسان مثل الأشجار . . وقد تكون شجرة الجميز فى حجم هرم خوفو ولكنه جميز . . وقد تكون شجرة العنب على سطح الأرض ولكنها تعطى العنب .

والإنسان وليد زمانه . . فالزمن الردىء يفرض العملات الرديئة والزمن العظيم لا مكان فيه إلا للعملات الجيدة .

ولا أدرى ماذا أصابنا . . أصبحت أندر الأشياء الآن أن تجد رجلاً طويل القامة موقفاً وسلوكاً وترفعاً . . بينما تجد الأقزام بالآلاف .

يدبجون الحكايات ويقدمون القرابين ويحملون « المباخر »

نحن نعيش زمان « المباخـــر » . .

فالمواقف الآن تتغير مثل الكرافتات والجوارب . . وهناك مواقف جاهزة مع كل اتجاه ومع كل رأى . . وبجوار كل قضية . .

هناك سوق واسعة فى عالمنا العربى لتجارة القضايا والمواقف . . والأفكار . . تستطيع أن تجد لنفسك سوقاً فى اليسار . . فإن لم تجد فلديك اليمين فإن لم تجد فلديك الوسط فإن لم تجد فلتتاجر فى الدين فإن فشلت تستـطيع أن تكون مطرباً أو مهرجا فى السيرك السياسى أو تعد مسلسلات هابطة للتليفزيون .

كل الأشياء وكل السلع وكل المواقف تستطيع أن تجد لك مكانا معها الآن فى الساحة العربية لأن أصحاب القضايا الحقيقيين انسحبوا من الساحـة . . ولأن القضـايا الحقيقية غابت . . ولأننا مجتمعات تعيش الآن بلا قضايا . .

فى زمـــان مضى كانت لنـا قضـايا . . كانت قضـايا احتـلال واستقلال . . أو قضايا حرية وتعليم . . أو قضايا فكر . .

ولكننا الآن نعيش فى ذواتنا . وبعد أن كانت مجتمعاتنا تتكون من أفـراد أصبح كل فرد فينا مجتمعاً مستقلاً لا يعنيه من أمر الآخرين شىء . . فإذا كان هذا هو مصير أفرادنا فلا شك أن مصير مجتمعاتنا أكثر تفككاً واضمحلالاً . .

فى يوم من الأيام جمعتنا قضايا تحرر . . وعلم . . وثقافة . . .

والآن لا يجمعنا شيء غير مسلسلات التليفزيون الهابطة ومباريات كرة القدم وأصوات رديئة تطارد آذاننا . .

فى يوم من الأيام كان نجوم الحياة يتمثلون فى مواقفهم وسلوكهم وقضاياهم . .

كان العقاد نجماً حينما هاجم الملك فؤاد . . وكان طه حسين نجماً حينما أصدر الشعر الجاهلى رغم كل تجاوزاته . . وكان شوقى نجماً حينما جمع الأمة العربية والإسلامية على كلماته . . وكانت أم كلثوم نجمة حينما حملت لنا أجمل المشاعر وأنبلها . . ولكن من هم نجوم اليوم . . ؟

نجوم اليوم لاعب أحرز هدفا أو سمساراً كسب الملايين فى صفقة ، أو تاجر كاسيتات يربح على حساب مشاعر الناس وأحاسيسهم .

كان النجوم فى زمان مضى نجوم قضايا وأفكار ومواقف . . ولكنهم اليوم نجوم تجارة وشطارة وفهلوة .

وقصرت القامات شيئا فشيئا . . وتراجعت الأحجام يوماً بعد يوم وكل قصير يجمع حوله من هم أقصر قامة منه . .

وغابت المواقف واختفى رجال المواقف . . ولم نعد نملك شيئاً إلا أن نأمل فى زمان جديد تعود فيه أقدار الرجال .

ومـا أسوأ أن يأتى الإنسان فى غير زمانه . . وما أسوأ أن تفقد الأشياء طبيعتهـا . . فيصبـح الحق ضلالا . . ويصبـح العـمالقـة أقـزامـاً . . ويصبـح الأقـزام عمالقـة . . ونسمـع الأصوات الرديئة ونصيح : « الله » . . .

ونرى الباطل ونصيح : ما أعد له . .

ويضيّع العمـر منا ونحن نعيش بلا هدف . . بلا قضية . . . بلا معنى لأى شىء فى الحياة . .

هل هناك مهزلة أسوأ من هذا . . لا أعتقد .

ماذا أعلم ابنى ؟

سألنى صديقى : ماذا نعلم أبناءنا فى هذا الزمان . . قل لى بربك ماذا أعلم ابنى . . هل أعلمه أن يكون شريفاً فيدفع ثمن الشرف أمام عشرات اللصوص الذين يستبيحون دمه ؟

هل أعلمه أن يقول الحق ولو قضى عمره فى سراديب السجون . . هل أعلمه أن يكون صاحب خلق فى مستنقع كبير لم يعد يعرف شيئاً اسمه الأخلاق . .

وأضاف صديقى : ماذا أعلم ابنى . . حقيقة إننى فى حيرة . . لقد تغيرت مقاييس الأشياء . فى زمان بعيد كان الشرف هو العملة السائدة . . وكانت الأخلاق هى أساس السلوك .

كانت العملة الرديئة هى الاستثناء فكان الناس يقولون فلان هذا « رجل لص » لأن اللصوصية كانت هى الاستثناء ، ولكننا نقول اليوم فلان هذا رجل « أمين » لأن الأمانة أصبحت هى الاستثناء . .

كنا نقول هذا رجل بلا أخلاق . . والآن نقول هذا رجل عنده

أخلاق . لقد تغيرت طبيعة الأشياء فأصبحت الجوانب القّبيحة فى الحياة هى الأصل والأساس وأصبحت الجوانب الطيبة هى الاستثناء والندرة .

قلت لصديقى : لا تعلم ابنك لغة هذا الزمان ولو لم ينطق . . ولا تعلمه القبح ولوأصبح كل شىء فى الحياة قبيحاً . .

إننا لا نستمد الجمال من خارجنا ، إنما نستمده من داخلنا . . ولأننا نرى العالم من خلالنا قبل أن نراه من حولنا . .

قد يصبح الشرف عملة نادرة ولكنه سيظل صالحاً لكل زمان . لأن العملات الرديئة أشياء طارئة فى حياة الناس لا يمكن أن يكتب لها الدوام . .

قلت لصديقى : علم ابنك أن يقول الحق ولودفع الثمن لأن الأشياء العظيمة تستحق أن نتحمل من أجلها آلاماً عظيمة . . علمه أن يكون صاحب مبدأ وقضية ولو تحولت الحياة حوله إلى مجموعة من سماسرة المبادىء وتجار القضايا . .

علمه أن يتمسك بالصبح ولو أظلمت كل الأشياء حوله . .

علمه أن عذاب الحق أجمل كثيراً من كل متع الضلال . .

وأن انتظار الصبح لا يقل جمالا عن رؤيته . .

وأن القبح سيظل هو القبح ولوغير ثيابه عشرات المرات . .

علم ابنك ألا يخاف ولو تحولت الحياة إلى مدينة أشباح . . علمه أن يتكلم ولو أصيب العالم بالصمم . .

علمه أن ينطق ولو صارت الحياة كهوفا للخرس .

قلت لصديقى : زماننا القبيح لن يدوم . .

سيأتى زمان يدرك قيمة الإنسان ويصبح فيه الإنسان إنساناً . .

سيأتى زمان ينطق فيه الناس مرة أخرى ويتكلمون ويتحاورون . .

سيأتى زمان جديد للشرف والنزاهة والأمانة والخلق . .

سوف تتفجر شلالات وأنهار لتطهرنا من المستنقع الذى غرقنا فيه . .

سوف نرى زمانا أكثر طهارة وأكثر نبلاً . . وسوف تتوارى كل مظاهر القبح ليعود للحياة جمالها القديم . .

سوف تسقط كل الأصنام التى ضللتنا . .

وسوف تتهاوى كل الرؤوس التى خدعتنا فكراً أو سلوكاً . .

يا صديقى علم ابنك الفضيلة لأن الزمان الساقط لن يدوم . .



لا أصـــدق نفســى

قالت : أراك تحاول أن تبتعد عنى بكل الوسائل . .

أشعر أحياناً أنك تحاول أن تهرب . . لا تريد مواجهتى . .
لا تريد أن نبقى معاً هل كرهت أم سئمت أم تغيرت . . ؟

قلت : أصبحت الآن أخاف على نفسى من نفسى . . أصبحت أفضل الأشياء التى تحفظ لى توازنى . . البراكين والزلازل تعصف بأعماقى . . أفقد أحياناً مقاومتى . . أفقد توازنى . . وأسوأ الأشياء عندى أن أشعر أننى فقدت توازنى . .

قالت : البراكين هى التى تغير شكل الأشياء . . تأتى لنا بعالم جديد . . وحياة جديدة . .

إنها تحطم كل شىء . . لكى تصنع شيئاً جديداً . .
وما أجمل الأشياء الجديدة !

قلت : البراكين تحرق . . وتدمر وتقتل . . إنها تصنع أشياء جديدة

ولكنها مجهولة . . قد يخرج منها الذهب . . وقد تخرج منها النيران . . وأنا لا أعرف حظى . .

قالت : اتـرك نفسك لطبيعتها . . دعها تحاول وتجرب وتسبح . . حتى ولو تعرضت للغرق .

قلت : لأننى غرقت قبـل ذلك أعرف تماماً إحساس الموت ونحن نغـرق . . لقـد جربت المـوت مرة . . ولا أريد أن أموت مرتين . . يكفى أننى فقدت نفسى ذات يوم مرة واحدة . .

قالت : حاول معى . . سوف أجعل موتك الجديد بعثاً . .

وسوف أبنى من بقاياك قصوراً . . وسوف أغرس من خريف عمـرك أشجاراً . . وسوف أحطم كل قيود أيامك ولياليك . . دعنى أحاول معك أن تكون أيامنا خلقاً وعالماً جديداً . .

قلت : كل الأشياء الجديدة تبدأ بنبض وإحساس جديد . . الزهرة تكبر وتفوح رائحتها . . ونشعر بسعادة شديدة وهى تعانق أنفاسنا . . وبعد يوم . . وربما بعد يومين تصبح الزهرة بقايا جمال مات . . كذلـك السعـادة نعيشهـا . . نتنفسها وبعد ذلك ينتهى كل شىء ولا يبقى لنا غير الحزن . .

قالت : معنى هذا أنك لن تجرب السباحة أبداً . . لن تحاول البحث عن لحظة سعيدة . .

لن يغريك المجهول بمحاولة الكشف عن أسراره . .

دعنى أحاول معك أن أكون سفينتك لشاطىء النجاة . .

أن أكون السر الذى لن يشقيك أبداً . .

أن أكون البسمة التى لن تفارق أيامك . .

قلت : لقـد سمعت هذا كثيراً قبل الآن . . ولكن المشكلة حتى لو صدقتك . . أننى لم أعد أصدق نفسى . .

قالت : أريدك أن تصـدقنى هذه المـرة . . دعنى أحاول معك أن نصنـع من حطام زمـاننـا قصـوراً . . ومن أحـزان أيامنـا أفراحاً . . دعنا نبدأ من جديد . .

قلت : كل النهايات كانت لها بدايات . . ومن الأفضل أن ننهى الأشياء قبل أن تبدأ . .

من أجل أن نبقى دائماً . . أصدقــاء . .

ذات ليـــلة

ما الذى جعلنى أتذكرك الليلة . . رغم أن هناك سنوات طويلة باعدت بيننا . . وأصبحت تلالا من الثلوج والاغتراب والوحدة . .

لا أدرى لماذا تذكـرتـك . . فجـأة وجدتك أمامى . . شعرت بحرارة يديك على وجهى . . هل كان حلماً . . من أحلام اليقظة . . إننى نسيت أحلام اليقظة من سنين . . ورغم أننى كنت أقرأ عنها كثيراً وكيف يرى علماء النفس فيها بعض الظواهر المرضية إلا أننى كنت أستمتع بها أحياناً . .

حتى أحلام اليقظة لا أستطيع الآن أن أعيشها . . وعجبت من نفسى كيف أتذكرك أنت بالذات . . وهناك أطياف وأطياف عبرت أمـامى سنـوات وسنوات وأشياء كثيرة باعدت بينى وبينك . . فلم تعودى حلماً . . ولم تعودى حقيقة ووجوداً . . مجرد طيف ألمح بعض ملامحه من بعيد . .

ما الـذى يبقى فى داخلنـا من الأيام . . نحمل فوق ظهورنا عمراً

طويلاً ولا يبقى فى ذاكرتنا منه سوى بضعة أيام . . ونرى وجوها كثيرة ويبقى فى أعماقنا وجه واحد . .

رأيتك بالأمس وكنت سعيداً أن هناك شيئاً بقى فى أعماقى ولم يتكسر . . لقد تكسرت أشياء كثيرة فى حجرات قلبى . . وكنت دائماً أخاف عليك . . ربما تمتد يد الزمن وتعبث بك . . ولكننى فوجئت بأنك ما زلت كما أنت فى داخلى . . شعرت بسعادة غريبة وأنا أرى ملامحك أمامى لم تتغير كما تغيرت فى حياتى كل الأشياء .

رأيتك وجوداً حياً مكثفاً فى داخلى . . شعرت بكل الأشياء الجميلة التى عشتها معك . . يوم أن كنت أودعك وأشعر أننى أنتزع جزءاً من قلبى يرحل بعيداً عنى . . شعرت بلحظات اللقاء التى كانت تجمعنا يوم أن كنت أطير إليك وأشعر وأنا ذاهب إلى ميعادك أننى أسعد إنسان فوق هذه الأرض . .

تذكرت لحظات عتابنا وكيف كنا نختلف لكى نعود أكثر تقارباً فى الرأى والفكر والوجدان . .

تذكرت تلك المرات القليلة التى افترقنا فيها لكى نعود ونحن أكثر شوقاً وأعمق حباً . . عادت إلى ذهنى صورتك يوم أن قررنا ذات يوم أن نفترق ولم نقدر على ذلك غير بضع ساعات لكى نعود كما كنا . .

كل هذه الأيام عادت إلى قلبى الليلة . . تذكرت كل تفاصيل

حياتى معك رغم أننى فى أحيان كثيرة كنت أحاول أن أوهم نفسى بأننى نسيتك وكنت أرى فى زحمة الحياة ومشاغلها أن أشياء كثيرة قد ملأت مكانك الذى ظل سنوات طويلة وأنت فى كل جزء فيه . .

رجعت الليلة . . اشتقت أيامى معك . . اشتقت حلاوة حديثك وحنانك الذى مازلت حتى اليوم أشعر باحتياج شديد له ولك . . لماذا تذكرتك الليلة بالذات . . هل لأننا نودع عاماً يرحل . . أم لأننا نستقبل ضيفاً جديداً قادماً يحمل لنا أياماً وعمراً جديداً .

هل لأننى أغلق صفحة من عمرى لأفتح صفحة جديدة وفى دوامة ترتيب الصفحات ظهرت صورتك فجأة بين كل هذه الصفحات . .

ولكن لماذا تذكرتك أنت بالذات . لقد تصفحت عشرات الصفحات ولم أتوقف بفكرى وعقلى ووجدانى إلا أمام صورتك أنت . .

ويحى منك . . مازلت فى خيالى كما أنت بكل ما كان فيك . . ما أحببته فيك وما كرهته . . ما كان يعجبنى وما لا يعجبنى . . حتى أننى تذكرت فجأة أننى قد نسيت كل الأشياء التى فرقت بيننا يوماً . حماقاتك . . عصبيتك . . سوء فهمك لى . . لم يبق منك فى داخلى غير مجموعة خطوط جميلة ومضيئة أذكرها لك . .

لم يبق غير ذلك الوجه الصبوح المشرق الذى أحببته فيك . . لم يبق غير كلماتك بعذوبتها وتهورها . . صدقينى اشتقت كثيراً لجنونك وتهورك . ولقد استكنت بعدك . . إن روافد الأنهار تتعلم الثورة من تدفق النهر الكبير . . ومنذ رحلت هدأت فى داخلى كل الأشياء حتى أننى أتـذكـر ذلـك الإنسـان المتمـرد الذى كان فى داخلى واستكان بعدك . . كانت ثورتى بعض ثورتك . . وكان جنونى من جنونك . . كيف أعيدك يا جنونى . . يا ثورتى . . لا أدرى كيف أفعل ذلك . .

لا تشتر قلبا ..

اتسعت فى السنوات الأخيرة أسواق بيع الأعضاء الإنسانية . .

فهناك معارض الآن فى أمريكا وأوربا يشترى منها الناس الكلى . . والكبد . . والقلوب . . وكل أجزاء الجسم تقريباً . .

يستطيع الإنسان أن يذهب إلى معرض الأجزاء الآدمية كى يشترى قلباً . . ويجلس الأطباء يركبون القلب الجديد . .

وكما يغير الإنسان « شكمان » سيارته يستطيع الآن أن يغير قلبه . . وفى حقيقة الأمر هو لا يسأل نفسه عن هذا القلب الجديد . . هل كان قلب رجل أم قلب امرأة . . هل كان قلباً حساساً أم كان قلباً قاسياً . .

هل هو قلب شاعر حمل هموم الدنيا ، أم قلب مجرم حمل للدنيا الموت . .

وأنا أشفق على الناس من شراء قلوب الشعراء . . فلو ذهب إنسان إلى سوق البيع الآدمى ليشترى قلباً لقلت له إياك وقلوب الشعراء . . والساسة . .

لأن قلوب الشعـراء أرق من أن تتحمـل هموم هذا العصر . . وإحباطات هذا الزمان . . وما دمت ستغير قلبك حاول أن تختار قلبا صامداً شديداً قويا يواجه معك هذا الزمن الردىء بأعصاب من حديد . .

ولأن قلوب الشعـراء مجهدة . . ولأنها أحبت كثيرا وماتت كثيرا ونـزفت منهـا دماء كثيرة فى شوارع السياسة ودهاليز القهر . . ولأنها قلوب حملت أحلاماً لم تتحقق . . ولأنها عاشت على دنيا الأحلام ولم تحقق منها حلماً . .

من أجل هذا كله لا تشـتر قلب شاعر . . فسوف يحمل معه أحـزانـه وأحـلامه وأمانيه وإحباطاته . . وهذه أشياء ترهق القلوب وتجعلها تصاب بالعجز المبكر . . فإياك ,وقلوب الشعراء . .

وفى جانب آخـر إياك وقلوب الساسة لأنها قلوب تغيرت ألوانها وثيابها ومواقفها عشرات المرات فلا تستطيع أن تحدد لها لوناً أو طعماً أو اتجاها . .

إنها قلوب لا تدق ولا تنبض ولا تتحرك . . إنها قلوب داست السياسة كل جزء فيها واستباحت كل مقدساتها . . وقبل هذا كله هى قلوب لا تنبض إلا قليلا . .

وربما يجلس السياسى على كرسيه عشرات السنين ولا يسأل نفسه كم عدد قتلاه . . وكم عدد ضحاياه . .

وربما يموت ولا يسأل نفسه هذا السؤال . .

فلا تشـتر قلوب الساسة لأنها قلوب تعلمت القسوة وأدمنتها وهذا العالم لا تنقصه القسوة . . ما أحوجه وأحوجنا إلى الرحمة . .

قلوب الساسة قلوب متعبة بما فعلت . .

ولهذا أنصحك ألا تغير قلبك وأن تتركه على حاله ولا تحاول أن تبحث فى ورشة القلوب فى أمريكا وأوربا عن قلب جديد يكون أكثر كفاءة . . فربما حمل لك هموما وآلاماً وأحزاناً أكثر من قلبك الذى بين جنبيك . .

وإذا كان ولابد من أن تغير قلبك . . فعليك أن تختار قلب طفل صغير لم تدنسه بعد أقدام هذا الزمان العابث الردىء . .

إذا كنت تريد أن تستبدل قلبك فحاول أن تختار قلباً لم يحمل هموم هذا العالم أحزاناً واحباطاً ويأساً . .

إذا كنت تريد أن تغير قلبك حاول أن تختار قلباً لم يتعلم الكراهية بعد . . حتى يمكنك أن تحب . .

ورحــل الربيــع غاضبــا

تداخلت الفصول بعضها فى بعض . أصبح الربيع شتاء فانزوت الأزهار وأصبحت لا تجد لها مكانا فى صقيع الأيام . وتساقطت أوراق الأشجار الصغيرة بين العواصف والرياح . . وعاد الإنسان يجتر آلامه وأحلامه وأيامه التى رحلت تحت ظلال بيته . . بعد أن فقد الأمل فى الحصول على لقاء عابر مع الربيع ولو فى نسمة تحمل شيئاً من عطره .

وهكـذا بدأ فصـل الربيع يجمع أوراقه ويحمل حقائبه دون أن تسمـع منـه لحنا أو نردد معه نشيداً واختفت طيوره المغردة وسقطت أزهــاره الحـائـرة وعـادت عربـدات الشتـاء وعـواصفـه تملأ آذاننـا بالضجيج . . وعيوننا بالأتربة . .

ووقفت أسـأل الـربيع وهو يجمع ظلاله وأوراقه والحزن يختفى خلف عينيه . . لماذا رحلت مبكــرا يا صديقى . . تركتنـا للشتـاء يعصف بنا . . وها هو يتركنا للصيف بعد أيام قليلة ، ولا ندرى ما هو فاعـل بنـا . . ولعله سيفعل كل ما يأتى لنا به كل عام . . حر

القاهرة القاتل ، وأسعار الإسكندرية التى ترتفع عشرات الدرجات كلما ارتفعت درجة الحرارة نصف درجة وتتراكم المتاعب والأحزان فى أعماقنا طوال العام على أمل أن نتخلص منها فوق رمال الشاطىء ولكن هيهات أن نستطيع ذلك الآن . .

وسألت الربيع : لماذا رحلت مبكراً !! . !

قال : أحوال الناس لم تعد تعجبنى . . أنت تعلم أننى بسيط الحال كل ما أملكه مجموعة من الزهور والطيور والنسمات الرقيقة العابرة أدور بها فى كل بلاد الدنيا ويلقانى الناس بالترحيب والسعادة فى كل مكان . . أنا صديق لكل بنى البشر ، عندى لغة يفهمها الناس جميعاً فى كل مكان وزمان . علمت الناس الحب . . ونثرت عبيرى بينهم وغرست فيهم صفاء الإنسان ونقاءه وطهارته . ولكن بالله عليك أين الأعشاش التى تسكنها العصافير فى بلادكم . من الصعب أن يجد الإنسان فيها مكاناً فهل تجد العصافير هذا المكان . إنها لا تريد أوتبيسات تركبها ولا تليفونات تتحدث فيها ، ولا تليفزيون تصيبها برامجه بانهيارات عصبية ، ليست فى حاجة لكل هذا إنها فقط تريد بيوتا . وأين هذه البيوت فى ظل خلوات الرجل والشقق التمليك والشقق المفروشة .

والعصافير لا تملك شيئاً تدفعه غير أن تغنى للناس . والناس الآن لم تعد تحب غناء العصافير ، إنه زمن الغربان يا سيدى . . الكل

يحب الآن أصوات الغربان ، لعلك لم تعد تسمع الآن الأغانى القديمة لأم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش . حتى الأشجار لم يعد لديكم أشجار تقيم العصافير عليها أعشاشها . . كيف بالله تعيش بينكم . .

وقال الربيع فى ألم : لقد كنت أحمل لكم كل عام العطر والعبير . . فكيف يكون ذلك والأتربة تملأ الجو وتخنق الأنفاس . . أتربة المقطم وقد أصبح الآن ثائراً يلقى بمدافعه الثقيلة كل يوم فيتغير حالَ المدينة ويظلم نهارها . . ومع ثورة المقطم تجد عمليات الحفر لا تنتهى فى الشوارع ، لا ينتهى رصف آخر الطريق إلا لكى يبدأ الحفر فى أوله . . وهكذا تحولت الشوارع إلى حفر . . مقاول لتركيب مواسير المياه وآخر للكهرباء وثالث للتليفونات ورابع للمجارى . . وكل واحد من هؤلاء يحفر الطريق ثم يرصفه . . ويأتى ببلاط جديد يكسره القادم بعده وهكذا رزق الهبل على المجانين .

وسكت الربيع قليلا ثم قال : الناس يا سيدى لم يعد لديهم رغبة فى أيامى . . رغيف العيش أهم الآن من كل شىء . . فى زحمة الحياة ينسى الناس الزهور والعطور والمشاعر . . وتصبح لغة البطون أعلى من كل شىء . . لم يعد هناك مكان للزهر فى زحام الأتوبيس . .

ومضى الربيع وهو يهمس فى أذنى : لعلك تصدقنى الآن إذا قلت أنه لم يعد لى مكان بينكم . . لذلك هجرت الدار قبل أن أبدأ المزار . .

حلم .. بدون رصيد

لا أدرى لماذا أذكرك الآن كثيراً . . رغم أن النسيان نعمة الله على عباده . . فلولا النسيان لتجمعت آلام الناس كالأمطار وصنعت من قطرات الماء المتناثرة بحاراً وأنهاراً ، والألم يطهر الإنسان كالماء تماماً . . ولكن الله تعالى جعل النسيان أرضاً تمتص الكثير من الأحزان حتى ينقذ الناس من أحزانهم . .

وعدت فى هذه الأيام أتذكرك . . رغم أننى كثيراً ما كنت أضع سداً يفصل أيامك عن أيامى . ويبعد طيفك عن طريقى ويبدد ما تبقى بيننا من نسمات شوق تطوف علينا أحياناً . . فنتذكر .

أحاول أن أبعد طيفك عن طريقى ولا أتذكرك . . ولا يعنى ذلك أننى أصبحت أكرهك الآن . مازلت أحب كل شىء فيك أيامك . . أخطاءك . . ثورتك . . حماقتك . . وجنونك . ولكننى لا أريد أن أتذكرك حتى لا أذكر أيام الأحلام الكبيرة التى ما زلت أتحسر عليها .

إننى أعيش الآن زمن الأحلام المزيفة والعملات الرديئة . . لقد ماتت كل الأحلام الصادقة والجميلة . .

أصبحت الآن فقيراً . . أفلست خزائنى . وأصبح الدائنون يطاردوننى فى كل مكان . . لأننى لا أستطيع سداد أحلام اقترضتها من الناس وعجزت عن سدادها .

لعلك تذكرين ذلك الرجل صاحب العمارات الشاهقة من الأحلام والذى أحببته يوما . . كانت خزائنه مليئة . ودفاتر شيكاته لا يجف مدادها . كان كل يوم يوقع عشرات الشيكات بأحلام جديدة . . ويضيف إلى رصيده آلاف الأمانى مع شروق كل يوم . .

كانت أحلامى كالنهر المتدفق يغمر الناس جميعاً بالعطاء . وجف ماء النهر وتسربت الشقوق إلى أعماقه وصار أرضاً قاحلة . .

حلمنا معا بإنسان أفضل ، وما زال الإنسان هو الإنسان بل قصرت قامته .

حلمنا بغد أكثر إشراقاً وصدقاً وطال انتظارنا له .

حلمنا بعقول أكثر خصوبة وبريقاً . . وبيتا أكبر أمنا . . وأصبحنا نخاف أنفسنا أكثر مما نخاف الناس .

أصبحت الآن مفلساً ، كل ما عندى بعض عملات قديمة صدأت أحتفظ بها فى خزينة أحلامى الخاوية كتذكار لأيام عز

قديم . تغير لونها . . وأصبحت قطعاً من النحاس الأسود القبيح . . ورغم قبحها فمازلت أزين بها خزينتى الخاوية لأننى لا أملك شيئاً غيرها .

أفلست وأعلنت ذلـك أمام كل الدائنين فلم يعد لدى أحلام أقرضها لأحد أو حتى أسدد بها ديونى القديمة للناس .

أغلقت خزائنى ومزقت كل دفاتر الشيكات حتى لا أوقع حلماً بدون رصيد وأدخل بسببه السجن . .

من أجل هذا عدت أذكرك فأنت زمن الأحلام الكبيرة .

سوف يضايقك أن أبدو أمامك مفلساً هزيلاً أتسكع فى شوارع الأيام أسأل الناس الإحسان ويقولون عنى : هذا رجل علمنا كيف نحلم ، وأقرضنا جميعاً من أحلامه فى وقت الحاجة وجاء عليه زمان الأحلام الفقيرة فمضى فى الشوارع يتسول الأحلام من الناس . .

إننى لا أجد شخصاً واحداً يقرضنى حلماً . .

ترى هل أفلسنا جميعاً ؟ !



سأواجه قدرى بدون عينك

اعذرينى يا حبيبتى . . لم أعد أرى بريق عينيك فى هذه الأيام . سحابات الدخان والبارود وبقايا الأنقاض تحجب عن عينى بريق عينيك . .

اعــذرينى . . كنت فيما مضى أنـظر فى عينيك وأنسى أشياء كثيرة : الهموم العابرة . . ومتاعب الحياة . . وزماننا الضائع . .

كان بريق عينيك قارباً صغيراً يحملنى إلى بر الأمان فألتقط بعض أنفاسى وأعود أسبح من جديد . . وأستكمل الرحلة . .

كنت أشعر فى عينيك أن هناك مساحة صغيرة جداً فى هذا العالم يمكن أن تحتوينى وأشعر فيها بالأمان . .

كثيراً ما كنت أدخل عينيك وأغلق خلفى جميع الأبواب وأشعر أن جيوش الأرض ومباحث الكون لن تصل إلى . . ما دمت فى عينيك . .

ولكننى قررت من الآن ألا أهرب إلى عينيك مرة أخرى ، لم يعد

العمر يسمح بالهروب . سوف أظل واقفاً فى مكانى أمام التيار أواجه قدرى بدون عينيك ولن أهرب إلى الشاطىء مرة أخرى .

أدركت الآن يا حبيبتى أن أحزان زماننا أكبر بكثير من حجم براءتنا .

أفقت يا حبيبتى فجأة . . وأدركت أن تراب الأنقاض الذى تحمله الرياح إلينا وتوهمنا أنه بعيد . . ليس ببعيد .

أدركت أن العيون الجميلة التى عشت حياتى أعشقها وأتغنى بها يمكن أن تغطيها الأتربة وتصاب بالعمى ونفقد القدرة على أن يرى كل منا الآخر . .

لسنا فى مأمن يا حبيبتى من الطوفان . . إنه يحاصرنا ولن ينجو أحد منه .

لست متشائماً . . ولكن الحقائق الكبرى فى هذه الحياة ظهرت فجأة . . ولعلنا الآن ندرك حجم الطوفان الذى يهددنا .

كان من الممكن فى أى وقت مضى أن أخاف على أى شىء إلا عينيك . . كنت أخاف على حقيبتك أن يسرقها أحد اللصوص وما أكثرهم . . كنت أخاف أن يؤذى شعورك أحد بكلمة جارحة أو تصرف مجنون وأنت تمضين شامخة على الطريق . . ولكننى لم أتصور أبداً أن يصل الدمار إلى عينى حبيبتى وتصاب بالعمى .

أصبحت أدرك أن تلال التراب التى تحيطنا بدأت تتحرك وتهدد العيون الجميلة . . وأن المأساة أكبر مما تصورنا . .

سوف نغرق يا حبيبتى فى تلال التراب . .

من أجل هذا اعذرينى . . فلن أجلس أمامك اليوم لأتأمل عينيك كما كنت أفعل فى زمان مضى . .

ربما أعود إلى عينيك مرة أخرى بعد أن تظهر كل الأشياء حولنا ونتخلص من تلال التراب التى تحاصرنا . . ونفتح أعيننا على عالم جديد . .

مازلت أومن أن الهواء النقى سوف يعود مرة أخرى وأننا سنتخلص من كل أكوام التراب التى تفصل عينيك عنى . . ويومها سأعود أراك كما كنت . .

صدقينى ، تلال الأنقاض والأشلاء والبقايا تحجبك عنى . . وتحجبنى عنك .

وأخشى ما أخشاه أن نصاب جميعاً . . بالعمى . .

نحـــن والشتـــاء

مشاعر مختلفة يحملها إلينا الشتاء كلما عاد . والشتاء من أحب فصول العام إلى قلبى . أشعر فيه أننى أقترب من ذاتى التى تتشرد منى بين الشهور والأيام على محطات الزمن . فجأة ألتقط بقاياها من فوق أرصفة الحياة . . أهرب بها من صقيع الطرقات وأنزوى فى ركن صغير من أركان بيتى بعيداً عن الناس . أجلس أمام مدفأتى الصغيرة أحـاول أن أجمـع أشلائى المتناثرة لأصنع منها ذلك الإنسان القديم الذى أحببته فى داخلى .

كثيراً ما يبدو هذا الإنسان أمامى تائهاً ضالاً فى الطرقات كالطفل الذى لا يعرف له بيتاً أو مأوى . . وفجأة تمسك به يد رحيمة وتحمله إلى حيث الدفـء والحنان .

هكذا أشعر مع نفسى فى الشتاء .

والشتاء يترك إحساسا عميقاً فى داخلنا بالوحدة . والإنسان فى حاجة فى بعض الأحيان لأن يخلو إلى نفسه ويجلس معها على انفراد .

قد يكون لقاء مصالحة أو جلسة محاكمة أو بعضا من عتاب . المهم أن يجلس مع نفسه . . ينتزعها من بين الناس . . يستخلصها من أوحال الحياة ومستنقعات الزمن . . يزيل عنها تراكمات الأتربة التى تعلق بها كل يوم ، يحاول أن يفتش فيها عن ذلك الضوء القديم الذى يختفى شيئاً فشيئاً ويتضاءل يوماً بعد يوم .

الإنسان لابد أن يتعود على الوحدة حتى لا ينسى حقيقته الأولى التى ولد بها ولابد أن يرحل معها . . فنحن نولد وحدنا ونموت أيضاً وحدنا . وبين الولادة والموت لا ينبغى للإنسان أن ينسى حقيقة أنه وحيد .

ولعل الحضارة الحديثة قد أظهرت معادن البشر فأصبحت الوحدة أهمّ أمراض الحضارة .

فى العام الماضى كنت فى زيارة للدانمرك وفى إحدى الندوات باتحاد الكتاب الدانمركيين وقفت معى امرأة عجوز جاوزت الستين وسألتها : هل يحرص الناس هنا على حضور الندوات الثقافية ؟

قالت : أنا شخصياً أحرص على حضور هذه الندوات ، وليس ذلك لأننى أحب الثقافة فقط ولكن لأننى لا أجد من أتحدث إليه . . هل يمكن لك أن تتصور أنه من الممكن أن أقضى أسبوعاً كاملاً دون أن يزورنى أحد أو أسمع صوتاً فى التليفون . . إننى الآن تجاوزت سن

المعاش وأعيش وحدى وقد لا أجد إنسانا أكلمه ويكلمنى . . فقط بجرد الكلام . .

وهـذه هى حضـارة اليوم . . ولعـل هذه السيدة العجوز مثالاً حياً . إن الضجيج كثيراً ما يأخذنا من أنفسنا . والإنسان لابد أن يتوقف بعض الوقت ويترك نفسه للتأمل .

والشتاء يقربنا من أنفسنا . . وفى لحظات الاستكشاف الخاصة بين الإنسان ونفسه يدرك حجم الربح والخسارة . . وما الذى يبقى وما الذى ضاع . ولكن الشىء الأهم أن الإنسان يستطيع فى مثل هذه اللحـظات أن يراجـع حساباته ويختبر معدن العملات التى احتفظ بها . . يعرف الزائف من الصحيح . فيراجع أرصدته ويكتشف أن بينها شيكات كثيرة مزورة وأن فيها عملات غير قابلة للتداول . وقد يجد بين هذا كله شيئاً ثميناً غاليا لم يتخيله يوماً بهذه القيمة .

إننا ندرك قيمة الأشياء أكثر كلما ابتعدنا عنها .

مع أن الشتاء يحمل كل هذه الأشياء الجميلة فإنه كثيراً ما يحمل مع الذكريات ألماً . ويحمل مع الدفء فراغاً ، وإن كان أسوأ ما فيه أيضاً ألا نشعر بالدفء فيه لانقطاع التيار الكهربائى . . وتتعطل خطوط التليفونات فتقطع صلتنا بمن نحب ومن لا نحب . . وتمتلىء الشوارع بالمياه ويغرق فيها كل شىء . .

المهم أن الشتاء هو الفصل الوحيد الذى يعطينا الفرصة راغبين أومكرهين لنراجع ميزانية العام ربحاً أوخسارة . . إنها عملية الجرد السنوى نعرف منها ماذا أخذت الأيام منا . . وماذا أبقت لنا . .

وهذا شىء مطلـــوب . .

على غير موعد

قالت : ماذا أخذت من الحب . . ؟

قلت : جراحا كثيرة . . ورصيدا من الأحلام أقل مما تتصورين . .
لقد أخذ منى الحب سنوات طويلة . . ولم يترك فى القلب
شيئاً غير ظلال من الحزن تراودنى من حين إلى حين . .

قالت : وهل يعيش الإنسان بغير الحب . . ؟

قلت : إذا أحببنا تألمنا . . وإذا عشنا بدون الحب تصبح الحياة
بلا لون ولا طعم ولا رائحة . .

الحب حركة . . والحياة بدون الحب هى السكون . . وأنا أفضل الحركة على السكون حتى ولو كان الألم فيها .

قالت : ولكن الناس لا تؤمن الآن بالحب . . لقد تغير شكله
ولونه . . وأصبح شيئا غريباً علينا . . لم يعد ذلك
الإحساس الصادق الذى يملأ حياة الإنسان ويثرى خياله
ويحلق به إلى آفاق من السمو والترفع والجمال . .

قلت : لم أفقد إيمانى بأن الحب موجود بيننا فى ظل الصواريخ
وأجهزة الكمبيوتر ودفاتر الشيكات . . سيبقى الحب رغم
كل المتغيرات التى طرأت على حياة الإنسان . .

لقد أصبح إنسانا غريباً . . يتصور أن كل شىء قابل للشراء . . حتى المشاعر فى هذا الزمان تباع وتشترى . .

قد يملك الإنسان أرصدة الدنيا ولكنه لا يستطيع أن يشترى إحساساً صادقاً . . قد يتصور الإنسان أنه يستطيع بدفتر شيكاته أن يحول مقدرات الدنيا ويتحكم فيها . . يحب من يحب . . ويجرح من يجرح . . ويشترى من يشترى . . ويأمر فيطاع . . ويطلب فيجاب . . يتصور الإنسان فى زهوة ماله أنه قادر على كل شىء وفجأة يكتشف أنه اشترى كل شىء وعجز على شراء قلب يحبه . .

سيظل الحب منطقة يتساوى فيها الجميع القادرون وغير القادرين . . ممن يملكون . . ومن لا يملكون . . سيظل أكبر من أجهزة الكمبيوتر . . والصواريخ العابرة للقارات لأننا فى النهاية بشر . . ولنا قلوب . . ومشاعر . .

قد نعطيها أجازة . . قد نحيلها إلى المعاش . . قد نودعها فى صندوق صغير ونلقى بها فى وسط المحيط . . قد نحاول النسيان . . ونبتعد . . ونتصور أن كل الأشياء تغيرت . . وفجأة نشعر أننا ما زلنا نحس ونتألم ونحب . .

أنا لا أخشى على مستقبل الحب فى هذا العالم فهو الضمان الوحيد بأن الإنسان لن يفقد آدميته . .

قالت : ولكنك تتحدث عن أشياء لا وجود لها الآن . . لقد تغيرت مقاييس الأشياء . . الحب الآن لا يتجاوز اللحظة التى يعيشها الإنسان . . أصبح سريعاً جداً مثل إيقاع الحياة التى نعيشها . . إنه يحمل كل جراثيم هذا الزمن . . السرعة . . اللامبالاة . . عدم الصدق . . الحساب فى كل شىء حتى فى العواطف . . كل إنسان يقول للآخر ماذا أخذت وماذا أعطيت . .

قلت : الحب فى رأيى لا يقاس بالزمن . . ليس عيباً أن يصبح إيقاع الحياة سريعاً . . قد نلتقى للحظات ولكنها تظل محفورة فى الأعماق . . وقد نعيش شهوراً وسنين ولا يبقى منها شىء فى الذاكرة . . فالسرعة ليست ذنباً . . إنه إيقاع الحياة الذى يفرض علينا أن نسرع حتى لا نسقط تحت الأقدام . . فالكل يجرى . . وإذا توقفنا سقطنا . . وإذا سقطنا التهمتنا الأقدام ولن يرحمنا أحد . .

الإنسان وليد زمانه . . والحب أيضاً ابن شرعى لعصره . . ولكن المشكلة ليست السرعة . . ولكنها الصدق . . يكفينى دقائق مع من أحب . . شرطى الوحيد أن أشعر فيها بصدق اللحظة . . وصدق

الإحساس . ماذا يفيدنى إذا عشت مع من أحب سنين طويلة وكل منا فى حياته لا يكاد يعرف شيئاً عن الآخر . .

قالت : أمازلت تشعر برغبة فى الحب . . ؟

قلت : فى بعض الأحيان تصبح المشكلة فى داخلنا وليست فى خارجنا . . ليس المهم أن نجد من يحبنا . . ولكن المهم أن تشدنا مشاعرنا إليه . . المشكلة ليست فى الطرف الآخر ولكنها فى داخلنا . . قد تجد من تحبه . . ولا يحبك . . وقد تجد من يحبك ولا تحبه . . فالتوقيت قضية مهمة فى الحب . . قد يأتى حينما نذهب . . وقد نذهب حينما يجىء . . إنه مثل حركة القطارات،المهم أن يلتقى المسافران فى وقت واحد . . وعلى محطة واحدة . . فقد يهبط أحدهما فى لحظة يغادر فيها الآخر . . وقد يلتقيان على غير موعد . . وقد لا يلتقيان أبداً . .

وهذا هو الحب . مصادفة تأتى بدون ترتيب وعلى غير موعد . . ثم ترحل أيضاً بدون إنذار . . وعلى غير موعد . .



البحث عن المستحيل

قالت : هل كنت تحب فى كل ما كتبت . . هل كانت هناك امرأة وراء كل قصيدة . . وهل يتسع عمرك لكل هذه التجارب ؟

قلت : لا أعتقد أننى كنت أحب فى كل ما أكتب ولكننى أبحث وأحاول . . وليست كل قصيدة عندى امرأة . . فالمرأة أكبر من كل القصائد . ولكننى كنت فى رحلة بحث دائمة عن حلم تصورته يوماً ورسمته فى خيالى وكلما لاح لى ضوء اقتربت منه واكتشفت الحقيقة .

قالت : وماذا كنت ترى ؟

قلت : بعض السراب . .

قالت : معنى هذا أنك ستقضى حياتك كلها فى بحث دائم لن يوصلك لشىء غير السراب .

قلت : ولن أمل من البحث . .

قالت : وأى شىء ذلك الذى يستحق أن تضيع فيه عمرك فى البحث عنه .

قلت : أصحاب الأحلام الكبيرة لا تهمهم متاعب الرحلة . .
ولكن المهم أن يصلوا . .

قالت : ولكنك حاولت ولم تصل . .

قلت : سوف أحاول مرة أخرى . .

قالت : وإذا لم تصل ؟

قلت : يكفينى شرف المحاولة . .

قالت : أنت إنسان واهم وحالم وربما مجنون . .

قلت : الجنون ألا نحلم . .

قالت : وما هو الحلم . . ؟

قلت : أن أتصور عالماً أفضل . .

قالت : وإذا تحقق الحلم . . ؟

قلت : بحثت عن حلم جديد . .

قالت : تقصد امرأة أخرى . .

قلت : يا سيدتى أنا لا أبحث عن امرأة ، أنا أبحث عن عالم
متكامل متناغم أعيش فيه . . وأحد جوانبه امرأة . .

قالت : ولكنك قلت يوماً أن الدنيا عندك امرأة . .

قلت : هذه حقيقة إن وجدت هذه المرأة . .

قالت : أو لم تجدها حتى الآن ؟

قلت : ولن أجدها . .

قالت : لمـــــاذا . . ؟

قلت : لأننى أبحث عن شىء لا وجود له . . لقد وصلت إلى هذه الحقيقة . إننى أبحث عن حب لا يموت . . وكل الأشياء تموت . . أبحث عن وفاء يدوم . . وكل الأشياء تنتهى . . أبحث عن لقاء لا ينقطع وكل اللقاءات إلى زوال .

هل لديك امرأة تضمن لى كل هذا . . ؟

قالت : إنك تبحث عن المستحيل . .

قلت : وهذه مأساتى . .

سخرية القدر

جمعنا لقاء عابر بعد سنوات فراق طالت . .

كنت أريد أن أقول لها أن الأيام بعدك تشابهت وأصبحت أغنية مكررة مملة وثقيلة . . وأن الوجوه تشابهت وفقدت ملامحها ونبضها وبساطتها . . وأن حياتى صارت كالساعة الكهربائية التى تسير دون توقف . . ولا أملك إلا أن أسير معها . .

كنت أريد أن أقول لها أننى فتشت عنك فى كل امرأة عابرة . . فتشت عن عيونك . . وأيامك . . وعطرك وثرثرتك وأحلامك التى لا تتحقق وأمانيك التى شردتنا فى أرض الله . .

كنت أطارد وجهك فى كل الوجوه وأشم عطرك وتفصلنى عنك آلاف الأميال .

كنت أريد أن أقول لك أن الزمن عندى شىء غير ما اعتاده الناس . . الزمن عندى ليس بأيامه الطويلة أوسنواته المسرعة . . الزمن عندى هو تلك الأيام التى عشتها معك . . لقد أسقطت كل السنوات الجدباء التى افترقنا فيها . . لم أحسبها فى دفتر أيامى . . ولم

أذكرها . . ولن أذكرها فهى لا تساوى شيئاً عندى . . حتى التذكار . .

كنت أريد أن أقول لك أن الناس تحسب الأعمار بالسنين وأنا أحسب الأعمار بلحظات الحب . . فالسنين كثيرة وطويلة ومغرية . . ولكن الحب أصدق لحظات أيامنا ولذلك يعيش .

كنت أريد أن أقول لك أن سنوات الفراق لم تفعل بقلبى ما فعلته بقلبك . . لم تغيرنى كما غيرتك . . لم تجعل ملامحى شاحبة وهزيلة . . لم أسكنها بعيداً فى عالم من الزيف والمظهرية الخادعة . . ما زلت أنا . . هذا الطفل المتشرد المجنون الذى أحبك وراهن بعمره من أجل هذا الحب . . ما زلت هذا الإنسان الحائر الذى جعلك حلماً وإن لم يتحقق . . وجعلك بيتاً جميلاً وإن لم يسكن فيه ، وجعلك قصيدة شعر خالدة ولو أصبحت مجرد ذكرى عابرة فى حياتك المجهدة . .

كنت أريد أن أقول لك أن فى الأرض رجالاً كثيرين ونساء أكثر . . ولكن الذى يعنينا ليس عدد النساء والرجال فأنا لا يعنينى فى الأرض كل نسائها . . ولكن يعنينى فقط امرأة أحبها . هى عندى بكل نساء الأرض ، وقد كنت أنت تلك المرأة التى أحببتها . .

كنت أريد أن أقول لك أننى كنت أراك فى كل وجه عابر أمامى . . رأيت من وجهك شيئاً فى كل الأشياء . . فى المقاهى

والمطارات والسفن والشوارع المكدسة ، وفى لحظات الألم القاتل ولحظات السعادة المثقلة . . كنت أرى من وجهك شيئاً يذكرنى بك وإن لم يحمل أوصافك أو ملامحك .

كنت أريد أن أقول لك أن المرأة مخلوق عجيب . . فهى تبحث عن الحب وإذا وجدته هربت منه . . لأن المرأة تفضل سجناً صغيراً وترفض قصراً كبيراً . .

كنت أريد أن أقول لك أننى أحبك بأعلى صوتى . . فما زلت سابحة فى دمائى . . وما زلت واقفة فى آخر كل طريق أسلكه . . كأنك ظلى . . أو قدرى . . أو سنوات عمرى . .

كنت أريد أن أقول لك أننى اشتقتك بعد سنوات الترحال والسفر . . وأنك ما زلت لم يتغير فيك شىء بجنونك ورقتك وسذاجتك المفتعلة .

كنت أريد أن أقول أشياء كثيرة ولكننى لم أستطع . . فقد كنت مشغولة بالطعام . . وكان زوجك يراقبنى من بعيد وكنت أراه يضحك أحياناً . . وهو ينظر إلى من بعيد . .

هل كان يضحك علينا . .
أم يضحك على نفسه . .
أم يضحك على سخرية الأقدار . .
لا أدرى . .

مع العـام الجـديد .. دعونـا نحـلم

قالت : ماذا تمنيت وأنت تودع عاماً راحلاً .. وتستقبل عاماً جديداً ..

قلت : تمنيت أن أرى الأمل ابتسامة فى عيون أطفالنا .. وأن تعود أحلامنا كما كانت مشرقة فى ظلام أيامنا ..

تمنيت أن نعود لإيماننا القديم بأن قيمة هذه الأمة فى عقلها .. ووجـدانها .. وإيمانها .. لأننـا حينها فقدنا الإيمان .. ضاعت منا القـدرة .. وحينـما تراجـع فينا العقل .. فقدنا البصيرة .. وحينما تهاوى الوجدان نسينا طريق الرحمة ..

تمنيت أن تشرق فى أعماقنا مرة أخرى كلمات نسيناها .. إن يد الله مع الجـماعـة .. لأننـا حينها تشرزمنا ضعفنا .. وحينها ضعفنا خسرنا .. وحينها خسرنا ضاعت قدرتنا على الحلم ..

تمنيت أن تختفى أشباح الدماء التى أغرقت عالمنا العربى سنوات طويلة .. لأن الـدماء تلد الدماء .. ولأن القسوة هى الطريق إلى العنف .. ولأن العنف هو أكبر أعداء الحياة ..

إن الـدمـاء التى سالت على وجـه الأرض العربية أكبر خطيئة ارتكبها الإنسان العربى فى تاريخه الحديث . . لقد شربنا دماء بعضنا البعض ولم نشبع . . وهذا منتهى الضياع . .

الدماء المسلمة المؤمنة التى تدفقت على امتداد الساحة العربية والإسلامية ما كان ينبغى لها أن تسفك بأيد عربية أو أيد مسلمة . . ولكن هذا قدرنا أن نعيش زمان الدم البرىء . .

تمنيت أن يدرك حكـامنا أن السلطة لا تدوم وأن الشعوب هى الباقية وأن بناء الحلم أجمل كثيراً من دفنه . . وأن أغانى الأحياء أفضل كثيراً من مراثى الموتى . . وأن السجون لا تصنع الإنسان . . ولكنها تقتل كل شىء فيه . .

تمنيت أن يدرك حكـامنـا أن استئناس الشعوب قضية يصعب تحقيقها فى زماننا الحديث . .

وأن الكبت يولد العنف . . وأن الصمت قد يستمر بعض الوقت ولكنه لا يمكن أن يدوم لآخر العمر . .

تمنيت أن تدرك الشعوب دورها فلم يخلقها الله تعالى لكى تأكل وتشبع وتنام ؛ لأن العقل حينما يتراجع يفقد الإنسان مقومات وجوده وكيانه . .

تمنيت أن يعود الحب كياناً حياً نابضاً فى حياتنا من جديد . . لأن الحب حينـما غاب عنـا فقـدنـا كل قدرتنا على العطاء . . وتسربت

أمراض الأنانية إلى ذواتنا فأصبحنا لا نرى فى العالم شيئاً غير حدود نفوسنا الضيقة . .

وبدأ العالم يصغر فى عيوننا شيئاً فشيئاً حتى أصبح لا يجاوز حدود أصابعنا وأنفاسنا . . وخفقات قلوبنا المتكاسلة . .

إن الحب يعلمنا حلاوة العطاء . . وصدق السريرة ونبل المشاعر . .

إنه يعلمنا الرحمة . . فى زمان تقتل فيه الأم ابنها . . ويقتل فيه الابن أمه . . لأن أكبر مآسى هذا الزمان أن الرحمة أصبحت ضيفا غريبا قليلاً ما نراه . .

تمنيت أن يجمع الله شتات مشاعرنا المبعثرة على حلم واحد وقضية واحدة . . لقد كان أعظم ما فينا أننا اجتمعنا يوماً تحت ظلال قضايا آمنا بها . . وأعطيناها أعمارنا وأموالنا . . وشبابنا . . وحينما غابت قضايانا فقدت الأشياء بريقها . . وفقدت الحياة مبرراتها . . ولم نعد ندرك قيمة العمر . . والزمن . . والحياة . .

تمنيت أن يعود الإنسان العربى إلى تماسكه القديم بعقل عائب . . ووجدان متماسك . . وأن يتخلص من كل الأمراض التى تسربت إلى حياته فأصبح إنسانا بلا حلم وبلا قضية . . وبلا موقف من الحياة والأشياء . .

تمنيت أن أرى المثقف العربى أكبر موضوعية فى مواقفه وأكثر نزاهة فى أحكامه . . وأكثر ترفعا فى خصومته وأكثر إيماناً بقضيته . .

تمنيت أشياء كثيرة مع مطلع عام جديد . . ورحيل عام نطوى فيه دفاترنا . .

وما أسرع ما تمضى بنا الأيام . .



الحب .. والاختيار

جلسنا نحكى معاً فى مدخل الفندق العتيق . . كان ينتظر حبيبة لم يرها منذ سنوات . . كان يقول لى : ربما نسيت ملامح وجهى . . لا أدرى كيف أصبحت الآن . قالت لى فى رسالتها الأخيرة أن وزنها تغير . . وتنهد صديقى وهو يقول : الشىء العجيب أننى لم أتغير .

جلست أرقب حيرة صديقى وعينيه الزائغتين فى بهو الفندق وهو يتحرك بكل مشاعره مع كل امرأة قادمة يتخيلها حبيبته . . رغم أنه تجاوز الأربعين . . إلا أن حيرته وقلقه ذكرانى بعمرى وأنا فى العشرينات . . يوم أن كان القلب قلباً . . وكان الإحساس إحساساً .

سألت صديقى : منذ متى لم ترها . . ؟

قال : سنوات طويلة بيننا . . سبع سنوات كاملة لكن هذه السنوات لم تغير فينا شيئاً ، ما زالت فى عينى كما كانت . .

ابتسامتها . . عذوبتها . . جنونها . . كل هذه الأشياء التى أحببتها فيها لا أرى شيئاً غيرها . .

قلت : أجمل الأشياء أن نحافظ على الملامح الجميلة لمن نحب .

فى أحيان كثيرة نهدم كل الأشياء على رؤوسنا قبل أن نرحل . . وأجمل الأشياء أن تترك البيت بكل الأشياء الجميلة فيه قبل أن تهجره لا ينبغى أن نحول قصورنا الجميلة إلى أنقاض قبل أن نرحل عنها . . إن ذلك يذكرنى بدمار الحروب . . التى تقتل كل شىء فى الإنسان . . ونحن حينما نكره ندمر كل شىء . . ولا أدرى لماذا تنتهى كل قصص الحب العظيمة بقصص انتقام أعظم ، هل هى أنانية الإنسان الذى لا يطيق أن يرى امرأة أحبها فى يد غيره . .

قليلاً ما تنتهى قصص الحب بصداقة عظيمة . . إنها أنانية الإنسان . المرأة تدمر حبيبها قبل أن يتركها . . والرجل يدمرها قبل أن ترحل عنه . . ولا يبقى شىء خلفهما غير الدمار

قال صديقى : لم أغير رأيى فيها . . لم نعد نلتقى . . وأيضاً لم نفترق وظل كل منا يحافظ على مشاعره . . هى بعيدة وأنا بعيد . . أحياناً كنت أتصل بها لأسأل عنها . . لم أنس أن أرسل لها بطاقة صغيرة مع عيد ميلادها . . لم أنس فى كل عام أن أبعث باقة ورد صغيرة فى نفس اليوم الذى التقينا فيه لأول مرة . .

إننى لا أحبها جسداً ولكننى أحبها روحاً . . أرى فيها عالماً كبيراً واسعاً وليس مجرد بيت صغير أملكه . . أرى فيها حديقة كبيرة وليست مجرد وردة ألقيها بعد أن تذبل أوراقها . .

قلت : مشكلة الإنسان أنه أحيانا يرى الحب نوعاً من التملك . . وهو عادة يفكر فى تلك الملكية التى تعطيه حقوقها على ورق . . وهذه مأساة أن تملك الشىء وأنت لا تملك فيه شيئاً لأن زمان ملكية الإنسان قد انتهى .

ما قيمة أن تضع الإنسان فى قفص صغير وتغلق عليه كل الأبواب وتقول له هذا هو الحب . . أجمل ما فى الحب هو الاختيار لأن أساس الاختيار أن يظل لكل إنسان حقه فى الاختيار . أن يبقى من حقه القبول أو الرفض ، لا يعنينى أن أملك نساء الأرض جميعاً ولكن أكثر ما يسعدنى أن تختارنى امرأة واحدة دون كل الرجال وأن أختارها هى دون كل النساء ، أن أراها لأننى أريد أن أراها . . وأن ترانى لأنها تشعر برغبة فى أن ترانى . لا أحب أن أراها لأنها تملكنى ولا أحب أن ترانى لأنها تحمل ورقة تعطيها هذا الحق .

قال صديقى : مأساة أن يصبح الحب ورقة صغيرة تعطى لشخص الحق فى ملكية عمر شخص آخر . الحرية هى أساس الحب . . لأنها أساس الاختيار والحب هو الاختيار .

كان الوقت قد مضى . . وصديقى ما زال يحدق فى باب الفندق ينظر إلى كل قادم . . وكان الحديث شجياً وجميلاً . . قطعه صوت أقدام تقترب منا . . وعيون جمعها شوق طويل وأيد تتصافح شعرت بحرارتها تلفح وجهى . .

زمن الأحـــلام الفقــيرة

فجاة أجد نفسى يا حبيبتى فى عينيك . . أنسى سنوات العمر التى تترك بصماتها كل يوم على وجهى . أنسى أيام الخريف التى لم تبق غير بضع شجيرات صغيرة خضراء فى صحراء أيامى . .

ما الذى يجعلنا أحيانا نفقد القدرة على الحركة رغم أن أقدامنا تسير . وأيدينا تتحرك . .

كثيراً ما شعرت أننى واقف فى مكانى . .وأن ملامحى تجمدت وأن عضلات جسمى فقدت كل مقومات تكوينها . . وأننى أرى الأشياء ولا أراها . وأسمع الأصوات ولا أسمعها .

كل شىء يدور حولى ويتحرك ولكننى أشعر أننى فقدت القدرة على الحـركـة هل هو عجز الإرادة . . أم قيود الزمن . أم سراديب الإحباط التى تبتلع أيامنا يوماً بعد يوم .

فجـأة أجد نفسى يا حبيبتى فى عينيك . كنت قد نسيت حلماً قديماً أودعتـه جانبـاً وأسـدلت عليه السـتـار . قد لا نجد الأمان فى

أوطاننا . . وقد لا نشعر بالسعادة مع أنفسنا . وقد لا نجد شيئاً يأوينا من صقيع زماننا . . ولكننا نجد الحلم والأمان والراحة . . فى عيون من نحب . .

والحب أصبح سلعة « مزورة » فى معظم محلاتنا العاطفية . كل شركات الإنتاج العاطفى تطرح منتجاتها وللأسف كلها منتجات رديئة . .

فالسوق ملىء بأنواع الحب حسب المواصفات المطلوبة . . وكل شىء بحساب . أصبح الحب سلعة فى بورصة الأوراق المالية . . كل شىء فيه يحسب بالربح والخسارة . وماذا تأخذ وماذا تعطى ؟ . وكم سيبقى وكم سيضيع ؟ . ويصبح الناس فى سوق الحب يتبادلون الاتهامات ويوزعون الشتائم ، كل يقول للآخر : « أفنيت عمرى معك » . « أخذت منى وأعطيتك » ، « فماذا أخذت » . . « وماذا أعطيتنى » .

تلوثت كلمات الحب وابتذلها سماسرة الأوراق العاطفية . ولم نعد نفرق بين الأوراق الصحيحة والأوراق المزورة .

لهذا يجب أن تجعل من نفسك خبيراً قبل أن تدخل سوق الحب حتى لا تخرج من السوق بمجموعة من أوراق البنكنوت المزورة .

كنت دائماً أشعر أن مساحة صغيرة ما زالت باقية عندى لم تخضع بعد لقوانين العرض والطلب . لم أحاول أن أضع مشاعرى موضع تقييم أو ترقيم أو حساب .

قد يتراجع الإنسان أحياناً أمام ضرورات الحياة ويفقد بعض تماسكه . قد يفرض عليه زمان القهر أن يحنى رأسه حتى تعبر العاصفة ولكى لا تسقط رأسه بين قدميه . ولكن أصعب الأشياء أن يجد نفسه معروضاً للبيع فى سوق الأوراق العاطفية . وتدور مضاربات السوق السوداء والكل يريد أن يبيع ويقبض الثمن فى نفس اليوم .

فجأة أجدنى فى عينيك يا حبيبتى أتأمل نفسى وزمانى وعالمى . عالم واسع فسيح أخاف كل بقعة فيه فقد ينام تحت شجرة الياسمين ثعبان كبير . أشعر أننى مطارد من زمان لا يعنيه إطلاقاً تطبيق القانون . فلم أرتكب جريمة غير الدعاية للحب . والحب عملة غير قابلة للتداول ، وتعاقب السلطات المسئولة وغير المسئولة كل من يحملها . . إننا نعيش زماناً يبيح الخمور والمخدرات ويفرض العقوبات ويسن القوانين وينشىء أجهزة لمكافحة الحب .

وجدت نفسى فى عينيك . لأول مرة يفارقنى إحساسى القديم بالخوف .

والخوف إحساس متوارث ورثناه عن آبائنا وأجدادنا . . فنحن

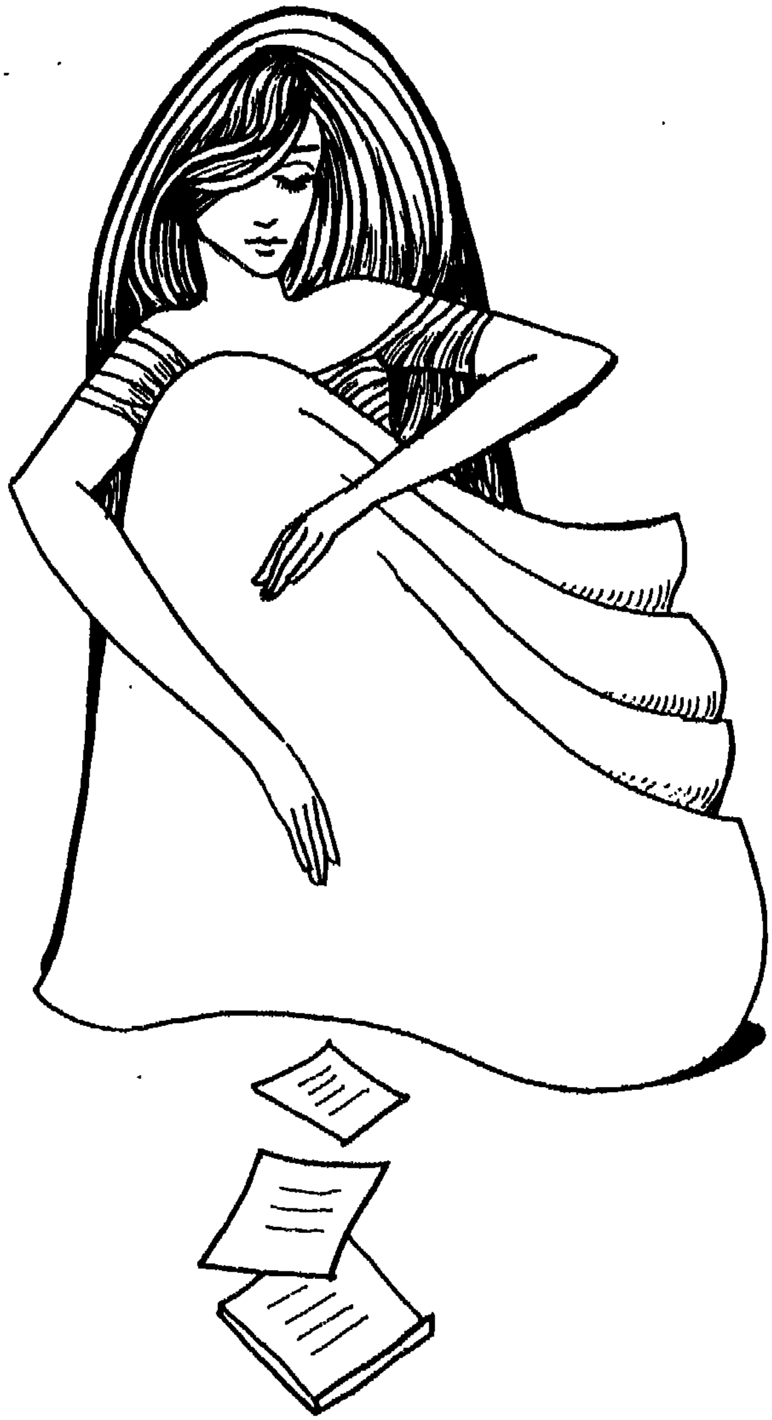
نخاف كل شيء حتى أنفسنا فربما نكتب تقريراً سرياً لأجهزة مكافحة الحب عما يدور فى أعماقنا حينما نحب .

لأول مرة أتنفس هواء نقياً . . كنت دائماً أطوف شوارع مدينتنا المعتمة وأشعر أننى أختنق . لقد وجدت فى عينيك عالماً فسيحاً من النقاء والطهر . وأدركت مأساة الإنسان حينما تكتب عليه أقداره أن يعيش زمـاناً موبوءا ، كم تتسع الأرض وكم تضيق . . وكم تنقذنا الأشياء من الأشياء . أنقذتنى عيناك من زمانى الموبوء .

قد يكـون الواقع مـرًّا . . وقد تحجب السحب الكثيفة ضياء شمسناً وتخنق أشعتها . . ولكن يكفى أن أرى فى عينيك ابتسامة غد جميل . . وأحلام حياة أكثر إشراقاً . .

إن مجمـوعـة من الابتسـامـات تصنـع حديقة من السعادة . . ومجموعة من القلوب المحبة تخلق عالماً فسيحاً من الحب .

وقـد يطول الحلم وقـد يقصر وقد يتحقق وقد لا يتحقق ولكن يكفينا أننا حاولنا وحلمنا فى زمن الأحلام الفقيرة .



هل تجمعنا الأيام ؟

قالت وأنا أودعها ذات مساء حزين :

هل تجمعنا الأيام مرة أخرى ؟

قلت : لولا الأمل ما تحملنا كآبة الحياة . . إنه الشمعة الوحيدة التى تضىء عيوننا . . حينما تظلم كل الأشياء . .

كنت أعلم أن لقاءنا يبدو كسحابة بعيدة . . لن تتوقف مسيرتها . . وأن قدرنا أن نجرى وراءها نطاردها . . نحاول أن نراها من بعيد . . نسقط أحياناً . . ونقف أحياناً . . ولكننا نعدو خلف هذه السحابة . نرى فيها كل الأشياء . . نرى الحب فيها . . ونرى العطاء والأمن والمأوى . . لم يكن باستطاعتنا أن نصعد إليها . . وهى لن تهبط من مسارها البعيد . .

قالت : ربما تنسيك الأيام أننى أحببتك يوماً . . زحمة الأشياء تنسينا أحيانا قيمتها .

قلت : يوم معك أبيع من أجله سنوات طويلة من عمرى . . الأيام ليست بأعدادها . . الأيام بجمالها . .

ماذا تساوى ملايين من الأوراق المالية « المزورة » . . سوف تحرق وتلقى فى صناديق القمامة . وما أكثر الأيام « المزورة » فى حياتنا . . إنها كثيرة . . . أكثر ساعات الزيف والدجل والنفاق . وما أقل ساعات الصدق . .

أجمل ما فى الحب صدقه . إننى معك أعرف قيمة صدقى وأعرف أيضاً كم يسرق الزيف أياماً طويلة من عمرى . .

إننى سوف أذكرك دائماً لأننى كثيراً ما أشتاق صدقى .

قالت : ولكنك شاعر . . والمرأة عندك قصيدة . .

قلت : ليست المرأة عندى قصيدة . . إنها نقطة ضوء أجرى خلفها كلما اشتد الظلام حولى . . أجد فيها الأمن والمأوى . والضوء ينير لنا أحيانا . . ولكنه كثيراً ما يحرقنا . .

والمرأة عندى ضوء وحريق . . كثيراً ما تضىء لكى تحرق رغم أن الله خلقها لتكون ضوءاً . . لكن الزمن علمها أن تجمع الفراشات حولها وكثيراً ما تزهو بالضحايا .

ليست المرأة مجرد قصيدة عندى . وساعة مع امرأة أحبها أجمل عندى من كل ما كتب الشعراء . . إننى أكتب الشعر لأننى عاشق وليس لأننى شاعر . . فما أكثر الشعراء . . وما أقل العشاق . أجمل ما فى العشق الصدق . . وأجمل ما فى الصدق . . الشعر . . إن الصدق يجعل منا شعراء . . ولكن الشعر لا يخلق فينا الصدق .

قالت : المسافات بيننا بعيدة . . كلانا غريب . . وكلانا لا يعرف لنفسه أرضاً أو زماناً . .

قلت : الحب لا يعـرف الأوطـان . . والشـوق لا يعـرف حدود الأشياء . . سوف أشتاقك ولو فرقت بيننا بحار الدنيا . . وسوف أحبك وأنا هنا . . وأنت هناك .

سوف أراك بأشياء أعمق من عينى . وسـوف أحسـك بأشياء أصدق من حسى . . سوف ألقـاك وإن كنت بعيدة . . وأسمعك وليس بيننا كلام . . وأشم عطرك وإن كنت خارج حدود الأرض . .

كان المساء حزيناً . . وكان وجهها شاحباً . . وكانت الشوارع الخالية تذكرنى بساعات الوحدة التى تتلقفنى من بعيد . .

كان قلبى ينـزف فى داخـلى . . والأمانى تترنح فى أعماقى . . وكنت أسأل نفسى ولا أريد أن أسألها . .

هل تجمعنا الأيام مرة أخرى ؟

وغاب السؤال فى أعماقنا . . وما زلنا ننتظر .

لماذا كل هذه الأحزان ؟

كان وجهى شاحباً . . وكان وجهها شاحباً . . والمكان حزين . . كانت الأشجار تقف مصلوبة فوق الطرقات وفى الأركان وخلف الميادين . .

كان الشتاء يوشك على الرحيل . . وبعض الأوراق الخضراء تتسلل وسط الأخشاب الجافة فى لحظة انتظار حائرة .

كان فى عينيها حزن عجيب . . وفى أعماقى حيرة وسؤال . . لماذا كل هذه الأحزان ؟ لم أستطع أن أعثر على كلمة واحدة تدلنى على سر حزنى العميق وأنا معها .

كل الأشياء التى أحببناها حولنا . .

كل أشواق الأيام الطويلة التى أنتظرناها ما زالت فى أعماقنا .

كل المسافات الطويلة . . والبلدان البعيدة التى تركناها خلفنا . . كل هذه الأشياء كانت تؤكد دائماً لنا أننا اخترقنا عشرات الحواجز لكى نعيش هذه اللحظات . ها هى لحظاتنا القليلة التى

انتظرناها تجمعنا . . ولكن الحزن خيم علينا . . وعليها . لم أستطع أن أسألها بعد أن ساءلت نفسي : لماذا كل هذا الحزن ؟

ترى هل حملنا معنا عند رحيلنا أحزان أيامنا . تلك التى كنا نحاول أن نلقيها خلفنا . . هل حملنا معنا فى حقائب أسفارنا هموم أوطاننا ومواجع زماننا الحزين . . ؟

كل هذه التساؤلات دارت فى رأسى . . ولكنى لم أجد تفسيراً يقنعنى بالحزن الثقيل الجاثم على قلبى .

ساءلتنى عيناها : لماذا أنت حزين ؟

ولم أستطع أن أجيبها . . لأننى لا أعرف . .

حاولت أن ألقى عليها بالسؤال نفسه . . ولم تصلنى الإجابة . .

حاولت أن أتواءم مع نفسى وأقول أن الحزن جزء منا . . هو جزء منى . . وجزء منها . .

إنها كثيرة الأحزان مثلى . . أيامها وعمرها وضياعها . . كل هذا لم يحمل لها غير ساعات فرح قليلة . . وأنا مثلها سافرت فى بلاد الله شرقاً وغرباً . . أبحث عن قلب ضائع وفى كل مرة كنت أعود وبعضى جراح . . فى كل مرة كنت أترك بعض عمرى خلف الجدران وفوق أرصفة الطرقات . . فما أكثر الأقدام التى عبرت . .

ولكن جرحنا التأم حينما التقينا . .

ودعنـا كل أحـزان السنـين المـاضية . . أصبحت أراهـا كل شيء . . وتراني كل شيء .

أصبحت أسافر معها كثيراً في أعماقي وداخل نفسي . .

صارت أيامي معها هي الواحة الصغيرة التي أجمع فيها شتات نفسي وأشعـر أن الـزمن الـذي خاصمنا كل هذه السنوات قد عاد يصافحنا مرة أخرى .

لقد تناثرت في صحراء أيامي كما تتناثر حبات المطر فتركت حولها أشجاراً ونخيلاً وظلالاً . . ورغم هذا كنت أخاف على هذه الأشجار الصغـيرة . . إن الصحـراء غادرة . . فالرمال تزحف أحياناً وتلتهم حبـات المـطر . . ولأن الأشجار كثيراً ما تموت واقفة ويطوف الناس حولها يتذكرون أياماً وعمراً وحكايات .

كنت دائـماً أخشى على أشجـارنـا الصغيرة من عواصف الأيام وتقلبات الدهر . ولهذا كنت أخاف من موجات الحزن التي تتسلل أحيانا إلى داخلي . . كان الحزن يزورني كثيرا وهي بعيدة . .

وكنت أقول لنفسي . . إنها الأشواق تفعل بنا ما تشاء . .

ولكنني هذه المرة كنت حزيناً وأنا معها . .

قليلة تلك المرات التي شعرت بهذا الحزن وأنا معها . .

قليلة تلك السحابات السوداء التى عبرت فى أعماقى من يوم أن عرفتها . . وكانت مثلى حزينة رغم أنها عاشت تنتظر هذه اللحظات . .

لم يعرف كل منا أسباب حزن الآخر . . كانت الساعات تمضى كئيبة موحشة فى لحظات تساؤل وحيرة . .

وافترقنا وأنا لا أعلم سر حزنها . . وهى لا تعلم سر حزنى . .

وبعد أن تركتها . . وتركتنى ، عرفنا لماذا زارنا الحزن هذه المرة . .

حساب العمر

قالت : كم عمرك الآن . . ؟

قلت : بضع ساعات . . أنا لا أحسب عمرى كما يحسبه الناس بعدد السنوات . . فالأعمار يجب أن تحسب بالدقائق والساعات . . فأنا عشت بضع ساعات . .

قالت : أليس من الظلم أن يظلم الإنسان عمره . . فيسقط منه ما لا يريد . . ويبقى فقط ما يحب وما يريد . . أين العدل . . هل يعيش ثلاثين عاماً ثم يقول أنه عاش مائة ساعة فقط ؟

قلت : هناك فرق بين العمر الذى قضاه الإنسان حياً على الأرض يأكل ويشرب ويشاهد التليفزيون ، والعمر الذى عاشه الإنسان إحساساً وشعوراً ، إننى أحسب عمرى بحجم الاحساس فيه . والإحساس هو الشيء الذى يفرق بين الإنسان والحيوان . . بل إنه يفرق بين إنسان وإنسان .

قالت : ولكن العمر هو العمر . . والزمن هو الزمن ، إنك تحاول أن تضفى على الأشياء شيئاً من خيالك . .

قلت : هناك عشرات السنين يقضيها الإنسان فى النوم مثلاً . . إن الإنسان لو عاش ستين عاماً فمعنى ذلك أنه قضى منها عشرين عاماً فى النوم ، وإذا أضفنا للنوم متاعب المواصلات . . والطعام . . والحكايات الفارغة . . ومسلسلات التليفزيون . . والأيام التى تسرقها المكاتب بدون عمل . . ما بقى للإنسان غير مساحة ضئيلة من حياته . .

قالت : أنا أحب عمرى كله . . ما أسعدنى . . وما أشقانى . .

قلت : وأنا أحب فى عمرى فقط تلك الساعات التى شعرت فيها بالصدق مع نفسى ومع الآخرين . أكوام هائلة من الصخور والأتربة يحملها الإنسان على ظهره فى مناجم الذهب والماس قبل أن يصل إلى قطعة صغيرة من الماس . . ولا يذكر الناس شيئاً عن الصخور التى حملها هذا الإنسان ويضعون قطعة الماس لتسحر العيون . . الإنسان يحسب فقط تلك الأوقات التى تركت فى نفسه أثراً .

من أسعد اللحظات عند الإنسان عندما يتقدم به العمر أن يجلس ويسترجع ذكريات عمره . وكلما كان رصيد الذكريات كبيراً

شعـر أن حياته كانت أكثر قيمة وأكثر ثراء . حياة بلا ذكريات مثل شعب بلا تاريخ . . مثل حضارة بلا شواهد هى باختصار : شيك بدون رصيد .

إننى أتمنى أن أجعل من كل يوم أعيشه يوماً أذكره . . فليست كل الأيام التى نحياها . . نذكرها . .

قالت : تستطيع أن تجعل من عمرك كله أياماً تذكرها ، تستطيع أن تحب . . وتحلم وتعيش . . كما تريد أن تعيش .

قلت : قد يبدو ذلك شيئاً بسيطاً حينما نتحدث عنه . . ما أسهل الحب والحلم فى الكلام . . ولكن ما أصعبهما فعلاً . . قد يمضى عمرالإنسان كله دون أن يحب . . قد نتوهم وقد نتخيل لونـاً من ألـوان الحب . . ولكن الحب الحقيقى لا يعرفه إلا إنسان مارسه وعاشه وتأثر به . . وكذلك الحلم نطارده سنوات وسنوات وقد نسقط قبل أن نلحق به . . إننا نقابـل فى حياتنـا عشرات الوجوه . . ولا يبقى فى أعماقنا إلا وجه واحد نذكره ، نحفظ فى أجندة تليفوناتنا عشرات الأرقام . . ولكن الذى يظل فى ذاكرتنا رقم واحد ، وحتى حينما نحزن نتمنى لو أن شخصـاً واحـداً يشـاركنـا هذا الحـزن . . ونحلم عشرات الأحـلام وقـد نحققهـا جميعاً ونعيش العمر تعساء من أجل حلم واحد لم نحققه . .

قالت : أنت إنسان خيالى جداً . .

قلت : مأساة الإنسان الحقيقية أن يفقد القدرة على الخيال . . والخيال ليس فى الفن وحده . . الخيال فى السياسة والاقتصاد والمال والشعر . .

سياسى بدون خيال سوف تغرقه مشاكل يومه . . رجل اقتصاد بدون خيال . . سوف يضيع فى أرقامه . . إن الخيال هو الحلم بشىء أفضل من الواقع . . والذين لا يفكرون فى غير واقعهم لا يرون شيئاً غير أقدامهم . . وعادة ما يسقطون . .

قالت : أراك متشائماً . .

قلت : لأننى أحب الحياة . . كنت أريد أن أعيشها كما تمنيت يوماً . . وما زلت أحاول ولم أفقد الأمل بعد . .

قالت : وما هى الحياة التى تتمنى أن تعيشها . . ؟

قلت : أن أغمض عينى بدون خوف فما أكثر الخوف فى زماننا .



العاقل من يختار

تذكرتك بالأمس ..

كان صوت فيروز يأتى من بعيد .. يحمل جمال لبنان الغارب .. وصوتها الحزين .. وليالى شتائها الراحلة ..

كان صوت فيروز يغنى لأزهار أيلول المتساقطة .. وأوراقه المتناثرة على الطرقات ..

وتذكرتك مع فيروز ..

مجرد أغنية قصيرة .. مجرد كلمات بسيطة تعيد للإنسان عمراً كاملاً .. إننا نسترجع أعمارنا فى لحظات .. وهذا أعظم ما فى الإنسان ..

إن من معجزات الخلق والخالق هذه الذاكرة الصغيرة التى اختزن فى حجراتها وسراديبها ملايين الذكريات والمواقف ..

اخترع الإنسان الكمبيوتر .. ربما يجمع فيه بعض الأرقام والحسابات .. ولكن عقل الإنسان يختزن عمراً بأكمله .. ومع أغنية

بسيطة لا تتجاوز الدقائق يسترد الإنسان عمره . . يشعر بكل المشاعر التى عاشها وأحسها . .

تنتفض كل الأشياء فى داخله . . يسمع أصواتاً تتكلم وعيوناً تتحاور . . وأماكن تتحرك . .

يشعر الإنسان فى لحظة أنه امتلك عمره مرة أخرى . . استطاع أن يسترده من قبضة النسيان . .

شعرت وأنا أسمع فيروز أننى أسمعها لأول مرة . . وأنك معى . . وأن زماننا فى أيدينا . . وأننا لم نكبر . . ولم نتغرب . . ولم نفترق . .

شعرت أننى عدت أراك كما أراك . . رغم أن آلاف الأميال فرقتنا . . ومئات السدود قامت بيننا . . تجاوزنا كل هذا . . وعبر بنا صوت فيروز يلقى بالأميال بعيداً . . ويحطم كل السدود ويهدم كل الحواجز . . عدت أراك كما أنت . . لم تغير الأيام من ملامحك شيئاً . .

إن الله تعالى خلق لنا العمر . . وخلق معه التذكار . . والشىء الوحيد الذى يميز الإنسان عن باقى المخلوقات أنه يعيش بذكرياته . . كل الأشياء نباتاً وحيواناً تعيش يومها . . والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يعيش عمره .

إنـه يتـذكر كل الأشياء منذ مولده . . كل صغيرة وكبيرة تأخذ مكـانها فى وجـدانـه وعقله . . ويتحـول هذا الـرصيد الكبـير من الذكريات إلى بنك ضخم من التجارب والمعاناة والحيرة والألم .

وحينها يتقدم بنا العمر نجلس وحدنا ونراجع رصيد ذكرياتنا . . ونفتش فى دفاترنا القديمة ونراجع أيامنا . . ساعتها فقط نكتشف أننا أغنى الأغنياء . .

إننا قد نملك أموال الدنيا ولا نجد إنسانا نحبه . . ونشعر معه بالأمـان . . أحيانـاً تطاردنـا الحياة بمغـرياتهـا وألوانها وبهرجتها . . والعاقل من يختار أيامه . .

من يستـطيع أن ينتشـل من أكوام الزيف لحظة صدق . . من يستـطيع أن يجد من بين الآلاف الـذين يعـرفهم إنسـانـا جديرا بمشاعره . .

من يختار من يحب . . ومن يختار ما يريد . . إننا فى أحيان كثيرة نفقد إرادتنا رغم أنها فى يدنا . . تغرينا أشياء عن أشياء . . وتجذبنا أشياء من أشياء . . ونفقد أمام هذا كله قدرتنا على الاختيار .

ماذا نريد من الحياة ..

كان وجه صديقى حزيناً شاحباً وهو يسألنى : لماذا تعطينا الحياة أشياء وتسلب منا أشياء أخرى .

إذا أعطتنا الصحة . . سلبتنا المال . . وإذا أعطتنا المال سلبتنا راحة البال . . وإذا أعطتنا راحة البال تركت لنا أشباح الفقر والحاجة . .

قلت لصديقى : أجمل الأشياء أن تعطينا الحياة ما نحب . . فإذا وضعت فناناً حقيقياً فى موقف اختيار فلن يبيع فنه بكل مناصب الدنيا وكل أموال العالم .إنه يشعر مع فنه أنه يملك هذا العالم بسمائه وأرضه ونجومه وبحاره . . إنه يحلق فى كل مكان . . ويسبح فى كل بحر . . ويطير فى كل سماء . . فكيف بالله يرضى سجنا كئيباً يقتل كل شىء فيه اسمه المنصب . .

إن هذا المنصب الذى يتسابق الناس عليه يقتل فى الفنان خياله وأحلامه ونقاءه وصدقه . .

سوف يتعلم فى المنصب كيف يضحك وهو حزين . . وكيف ينافق وهو فى أشد لحظات المرارة وسوف يجامل من لا يحب ويصدق من يكذب عليه ويستشير من لا يعلم وينكر ذاته أمام الجهلاء ويدعى الجهل أمام الأدعياء .

فى المنصب سوف يتنكر الفنان لصدقه وهذه بداية النهاية . .

إن للمناصب رجالاً . . وللفن قلوباً وأرواحاً . . وسوف تجد آلاف البشر يصلحون للمنصب ولكنك قد لا تجد فى شعب كامل ألف فنان . .

الفنان يمشى بالحياة إلى الأمام . . يحاول أن يصل إلى الأفضل وصاحب المنصب لا يعنيه الغد كثيراً إنه يفكر فقط فى يومه وإذا فكر فى غده فسوف يسأل نفسه : ترى من سيجلس على هذا الكرسى بعدى . .

والفنان إنسان يحمل قلباً كبيراً وهموماً ثقيلة . . وصاحب المنصب يلقى قلبه أحياناً فى سلة المهملات حتى لا يتذكر خطاياه فتعذبه . .

إنه يحسب كل شىء . . وأهم حساباته هو طابور المنافقين والدجالين الذين يقدمون له كل يوم فروض الطاعة والولاء . .

قلت لصديقى : إن كثيراً من الناس يحسدونك على فنك ، يكفيك هذه القلوب التى تحيط بك وتحبك وتقدرك . .

يكفى أن التاريخ حفظ لنا سيرة كافور وسيف الدولة من خلال قصائد المتنبى وأن الناس لا تعرف أسماء حكام إنجلترا فى زمن شكسبير . . ولكنها تحفظ أشعار شكسبير . .

إن الحياة تعطى كل إنسان ما يستحق . . فهى تعطى لصاحب المنصب الجبروت والسلطان . . وتعطى للفنان الحب والمشاعر وتعطى للتجار المال . . وتعطى للفقراء الصحة وراحة البال . . وتعطى للأطفال البراءة . . وللشباب القوة . . وللشيوخ الحكمة ، وكل واحد سعيد بما عنده . . المهم أن يكون راضياً لأن الرضا هو السعادة الحقيقية . . فقد نملك أموال الدنيا ونجمع مئات المناصب ونشعر أن كل هذا لا يكفينا . . وهذا هو الفقر الحقيقى . .

قلت لصديقى : أنت فنان كبير ويكفيك أنك ما زلت تحمل قلباً نابضاً فى زمن ماتت فيه قلوب كثيرة . .



أيـــام ثقيـــلة

ثقيلة أيامى بعــدك . .

أشعر أن الزمان توقف بنا . وأننا فقدنا القدرة على أن نعيشه كما عشنــاه . . وأن نحبــه كما أحببنــاه . . لماذا تتغــير الأشياء بهذه الصــورة . . الأمــاكن هى نفس الأمــاكن . . والأشياء هى نفس الأشياء . . ولكن إحساسنا بها يتغير . .

فالطريق الذى عبرناه يوماً وعاشت كل ملامحه فى أعماقى أمضى عليه وحـدى فأرى ملامحـه باهتـة وألـوانـه شاحبة وأشجاره فقدت نضارتها . . قد تغيرت كل الأشياء فى داخلى . . فالأشجار هى نفس الأشجـار . . ومـا زال الـطريق هو نفس الطريق . . ولكن الأشياء بعدك فقدت جمالها . .

نتمنى أحياناً لو أعدنا الزمن . .

نتمنى لو كانت هنـاك أسطوانة صغيرة نحاول استرجاع نغماتها لنعيش العمر كما عشناه . .

نتمنى لو كان العمر كتاباً نستطيع أن نستعيد صفحاته ونتوقف عندها كما نشاء . . نطوى منها ما نطوى . . ونحفظ ما نحفظ . .

ولكن العمر سحابة نراها أمامنا . . تظللنا . . تمطر علينا شيئاً من مائها . . نغتسل منها . . نتطهر فيها . . وتمضى . . ونحاول أن نمسك بالظلال الراحلة . . نجرى وراءها وهى تجرى أمامنا . . نعبر البحار والصحارى ، أشواك كثيرة تدمى أقدامنا . . نلهث وراء الظل الـراحـل . . نحـاول أن نوقفـه . . نحاول أن نستعيده ولكننا عادة نسقط . . بينما تكمل السحابة رحلتها . .

هنـاك من يدفـع عمره مقابل يوم . . وهناك من يرى عمره فى يوم . . فليس العمـر بسنـواته . . هناك عملات كثيرة نجمعها بين أيدينـا . . نتخلص منهـا . . ننفقها ببذخ . . نشترى بها الرخيص والثمين . . ندفع هنا ونلقى هناك . . نتصرف فيها كالوارث السفيه لا يعرف قيمة ما يدفع . .

ولكننا رغم كل هذا نظل نحفظ فى أعماقنا وليس بين أيدينا بعض العملات النادرة . .

نظل نحفظ بعض أيامنا . . نغلق عليها الأبواب . . نحتويها فى داخلنـا . . ننـظفها بين الحين والآخر حتى لا تصدأ . . ننزوى بها أحياناً ونداعبها ونتذكر . .

وربما تخسر كل الأشياء ونشعر مع هذه الأيام القليلة أننا أغنى الأغنياء .

إن المال قد يضيع . . والشباب قد ينزوى . . والجسم قد يعتل وتبقى الأيام الجميلة هى الشىء الوحيد الذى يؤنس وحدتنا حينما تضيع منا كل الأشياء .

ما زلت أعتقد أن أكثر الناس ثراء هم هؤلاء الذين يحملون فى خزائنهم ذكريات عزيزة . . إن أفقر الناس إنسان يعيش بلا ذكرى . .

وحينما نجلس مع أنفسنا ونتذكر نشعر أن أشياء كثيرة سقطت منا ولم نسأل عليها . . وأن ما بقى بين أيدينا هو أقل القليل . .

ولهذا أحزن كلما عبر يوم فى عمرى لا أراك فيه . . أحزن عليه بقدر ما تمنيت أن أقضيه معك . .

وأحزن لأننى لا أملك الحق فى أن أراك رغم أنى أراك وأنت هناك بعيدة بعيدة . .

وأحزن لأننى سأعيش أيامى أنتظرك . .

لن أفقد الأمل أبداً فى أن يعيد الزمن دورته رغم أننى أعلم أن الأيام لا ترجع للوراء ولكننى ما زلت أحلم أن نعيش زمانا أجمل من

زماننا الذى عشناه وأن نضيف لرصيد أيامنا ذكريات أكثر جمالاً وإشراقاً . .

ثقيلة أيامى من غيرك . . بطيئـة النبض . . كئيبة الملامح . . أعيدى لأيامى نبضها المسافر . .

وجـــاء الحـــلم حزينـــا

ما أجمل الحلم مع إنسان تحبه . . وما أسوأ أن يحقق كل منا حلمه بعيداً عن الآخر . .

أحياناً يربطنا حلم مع من نحب . . تجمعنا أمنية . . يشدنا أمل قد يبدو بعيداً . . ولكن الحب يجعل كل الأحلام والآمال قريبة .

إن الحب هو أكـبر بنوك الأحلام . . يستطيع جميع العشاق أن يقترضوا منه وأن ينفقوا ببذخ . . إنه بنك يقرضك أحلاماً ولا يسألك أن ترد له الدين . . تستطيع أن تسحب منه على المكشوف . . وتعطيه شيكات بدون رصيد . . ولن يبخل عليك .

وتجمعنا أحلامنا مع من نحب . . وأجمل العشاق حبيبان جمعهما حلم . . لأن الحلم يعنى الغد . . والغد يعنى الاستمرار . . وأسوأ ما فى الحب انتظار نهايته . .

وتكبر أمام أعيننا الأحلام . . تصبح عمارات شاهقة . .

تصبح ناطحات سحاب تحملنا إلى السماء . . وفجأة تسقط العبارات وتتحول إلى أنقاض . وتغدو أمام أعيننا بقايا لحكايات جمعت حولها عشاقا . .

وتفرق الأيام بيننا . .

يسافر كل إنسان فى طريقه ، ويصبح كل منا بعيداً عن الآخر ربما لا يعرف مكانه ولا عنوانه . .

وتمضى سنـــوات . .

وتحقق حلمـــك . . تصـــل إلى ما تمنيت . . ويصبح الأمل حقيقة . . ولكنك فى لحظة سعادتك بحلمك تشعر بلحظة شقاء عنيفة لأنك حققت حلمك وحيداً . .

لأنك حينما وصلت إلى نهاية المطاف تلفت حولك فى لحظة تعب وإرهاق فلم تجد الإنسان الذى حلمت أن تكون معه فى هذه اللحظة . . لحظة الوصول إلى الحلم .

شيء مرهق أن نحلم . . وأكثر إرهاقاً من الحلم أن نصل إليه وحدنا .

من أجل هذا تذكرتك مع حلمى . . كان الحلم وحيداً وكنت مثله وحيداً . . وكانت الشمس فى طريقها للرحيل . . وكان الليل كئيباً . .

كانت لحظة سعــادة كبـيرة . . ولحـظة حزن عميق . . وقليلاً ما تجتمع السعادة مع الحزن فى حياة الإنسان . . سعادة بالحلم وحزن لأن الحلم تأخر بعض الوقت فسافر من سافر وبقى من بقى . .

لقد كان الزمان كريماً وبخيلاً فى وقت واحد . . كان كريما حينما حقق الحلم . . وكان بخيلاً حينما حرمنا سعادة أن نلقاه معاً . .

تذكـرتـك رغم أن المسـافات بيننا تبدو طويلة وبعيدة . . وأن السدود التى فرقتنا أصبحت أكبر كثيراً من كل محاولات التذكار . .

وأن الثلوج التى تراكمت حولنا أعنف كثيراً من حرارة مشاعرنا .

ولكننى عدت أذكرك . فى ساعة حلم . . حلم حققته من غيرك فجــاء حلماً جريحاً . . فى وجهــه حزن عميق . . وفى عينيه بقــايا دموع . . وعلى شفتيه ابتسامة غاربة . .

لقد جــاء الحـلم حزينــا . .

. . .

زمن الأعمار القصيرة

أحزن كلما ودعت عاماً من عمرى . .

ولعل ذلك ما يجعل الناس تطفىء الشموع ولا توقدها فى أعياد ميلادها . .

ومعنى ذلك أننا ونحن نحتفل بأعياد ميلادنا نشعر فى داخلنا أننا نلقى أعوامنا فى ظلام سحيق لا عودة منه أبداً . .

يستطيع الإنسان أن يسترد ما له إذا خسره فى بورصة الأوراق المالية .

يستطيع أن يغير عمله . . وبيته . . ووطنه . .

ولكنه لا يستطيع أن يضىء شمعة واحدة أطفأها وهو يودع عاماً من عمره ليلة عيد ميلاده . .

لا أملك أن أسترد الأمس ولو دفعت فيه أموال الدنيا كلها . .

لا أستطيع أن أعيد يوماً واحداً سقط منى ومضى ولو حملت كل معجزات العلم والحضارة والتكنولوجيا . . أستطيع أن أراه فى شريط

فيديو . وأن أعيشه مع شريط كاسيت . . ولكنني لا أستطيع أن أسترد لحظة واحدة عبرت من عمري . .

لذا أحزن في أعياد ميلادي . . وأرفض أن أحتفل بها . . لأننا لا ينبغي أن نحتفل بلحظات الوداع تكفينا أحزاننا فيها . .

ولا أدري لماذا تغير طعم الزمن . . وأصبحت دوراته أسرع مما كانت . . اليوم نحتفل برحيل عام ولا يمضى وقت طويل حتى نرى رفاقه وهم يتسابقون خلفه عاماً بعد عام . .

وتقرأ شهادة ميلادك وتشعر بحزن شديد وأنت ترى الأرقام كأنها عداد تاكسى « مزور » وربما تسأل نفسك أحياناً هل مضت كل هذه الأعوام . .

تجد نفسك في العمل وقد مضى عليك ثلاثون عاماً . . وفي الزواج ربع قرن . . وأطفالك الصغار أصبحوا رجالاً . . تزوج من تزوج . . وهاجر من هاجر . . وجافاك من جافاك . .

تجد الشعيرات البيض وهي تتسلل واحدة بعد أخرى .

ومن كان بالأمس ضيفاً أصبح اليوم مقيماً . . فالشعيرات البيض وكما قال أستاذنا العقاد ـ تخفين في السواد حينا . . ثم دارت الأيام وتخفت الشعيرات السود في البياض أحياناً .

وتراجعت كل الأشياء . . وأصبح الإنسان أكثر حرصاً على السنوات الباقية . .

وخلف هذا كله يتساقط رصيد الأحلام حتى يأتى وقت نقترض فيه على الكشوف ولا نجد أحداً يقرضنا .

ومن أجل هذا شعرت بحزن شديد وأنا أحتفل بعيد ميلادى فى صمت شديد . . شعرت أن الزمن سرقنا . . وأخذ أجمل سنوات عمرنا . أحسست أن السعادة ليست عملاً خاصاً أو عملاً فرديا . .

ما قيمة السعادة وأنت تعيش فى زمن من التعساء . . ما قيمة القصور وحولك « خرابة » ؟ ما قيمة الأرصدة فى البنوك وأمامك الناس جوعى . .

إن الذين يتصورون أن السعادة ممكنة بعيدة عن الآخرين واهمون . . إننا سعداء بمن حولنا . . وأغنياء بمن نعيش بينهم . .

شعرت وأنا أودع عاماً أن أعواماً كثيرة سقطت . . وأن الحياة دخلت بنا مرحلة حرجة من الزمن . . أقل ما يقال عنها أن الإنسان لن يعيش كما عاش لأننا نعيش زمن الأعمار القصيرة .

إن الإنسان يحزن أحياناً وهو يودع أعوامه وليس هذا تشاؤماً ولكنه حب الحياة . . وبقدر ما نحب الأشياء بقدر ما نحزن عليها . .

إننى أحب الحياة ولذلك أحزن كلما ودعت يوماً واحداً فيها . فما بالك والسنين تتناثر بين أيدينا كقطرات الماء ثم تتسرب منا شيئاً فشيئاً



عندما ترجع العصافير

دعينا الآن من أحزاننا . .

الأشجار الصفراء الحزينة سيجىء الربيع ويُعيد أوراقها ورقة . . بعد ورقة . . سوف تعود مرة أخرى تسامرنا . . ونسامرها . . وتخفف حرارة الأيام التى تحرقنا . . نتجمع تحت ظلالها كالطيور المهاجرة

نحن الطيور المهاجرة التى أرهقها طول السفر . . فلم تعرف لها وطناً ولا عشاً ولا هوية . .

نحن الطيور التى دفعت بها رياح الأيام إلى بلاد بعيدة . . كسرت بعض أجنحتها . . بعثرت الكثير من ريشها . . تركت الأيام ظلالا كثيرة على ملامحها . . بددت أحلامها الصغيرة . .

ورغم هذا ما زالت الطيور تغنى . . وتعيش . . وتحلم . .

مازالت الطيور رغم جراحات الأيام تنتظر ذلك الربيع المسافر

البعيد . . ربما يعود يوماً وتعود الطيور إلى أعشاشها لكى تغنى من جديد . . صدقينى ما أسرع ما تتغير الأيام . .

الخريف . . الخريف الصامت سوف يصير ربيعاً مشرقاً وادعاً جميلاً . الحزن الذى يكبل كل شىء فى أعماقنا سوف يصبح فرحة كبيرة لا تنتهى ولا تغيب . .

صدقينى إن للأيام رحيلا . . ومجيئا . . وللأحزان ظلالا وللفرحة نشوة . . والعمر كل هذه الأشياء . .

إننا فى أحزاننا ندرك كم هى جميلة وعظيمة لحظة السعادة . . حينما تتساقط منا بعض الأحلام تنبت من بقاياها أحلام أخرى أجمل وأعظم وأروع .

نتصور أحياناً أن ماضينا هو أجمل أيام عمرنا . . وهو التذكارات التى جمعناها لكى نعيش عليها . . ثم ندرك بعد ذلك أن الغد جاء على غير ما توقعنا . . لقد جاء أكثر جمالاً من كل رصيد ذكرياتنا .

كم تصورنا أن حبنا الأول هو الحب الذى لن يموت . . ثم بعد ذلك نراه وقد أصبح ذكرىً عابرة وخيالاً زارنا ذات يوم ومضى .

لن يكون الماضى أجمل أيامنا . . سوف يكون الغد أجمل منه كثيراً . . ولن تكون أحلامنا فى الأمس هى كل ما كان عندنا . سوف نغرس فى صحراء أيامنا أحلاماً أخرى أكثر شبابا .

المهم . . ألا نترك الأيام تنسج خيوط اليأس والحزن والألم حولنا . . لا تتصورى أن ما عشناه شيئاً مضى ولن يعود . . سوف نعيش الغد كما عشنا الأمس وربما أجمل . .

حزينة أنت . . أعرف كم أنت حزينة وأنا مثلك أكثر حزناً . . لكن الأيام علمتنى أن أجمل ما فيها أمل نغرسه وفرحة ننتظرها ولقاء نسافر من أجله آلاف الأميال . .

أعرف كم أنت حزينة . . وكم أنا مثلك حزين . .

لكن الأيام علمتنى أن الشمس مهما غابت لابد أن تعود مرة أخرى . . وأن الخريف مهما حمل للأشجار أحزاناً سوف تعود فرحتها مع كل ربيع قادم . إننا نستطيع أن نبنى فوق الأنقاض قصوراً . . وفوق الصحراء واحات جميلة . .

أعرف كم أنت حزينة . . وكم أنا مثلك حزين . .

لكن الأمل هو الشرارة التى نستطيع أن نضىء منها ظلام أيامنا وحزن ليالينا ونعيد الابتسامة إلى كل شىء حولنا .

إن الربيع القادم من بعيد يبشرنى بأن حديقتنا الصغيرة الخالية ستعود أزهارها كما كانت . . وأن العصافير التى هاجرت عنا بعض الوقت سوف تعود مرة أخرى تغنى لنا . .

مازلت أومن رغم المسافات البعيدة التى تركتنا بقايا أن الزمن

سوف يلملم كل هذه الجراح .. وسوف تعود كل الأشياء الجميلة تجمعنا مرة أخرى .. أعلم كم أنت حزينة .. وكم أنا مثلك حزين ..

لكن دعينا نبتسم لأن ابتسامتنا ميلاد جديد ..

وماتوا من العشق

قالت : كل الأشياء تطاردنا . . أخاف حينما نلتقى . . أشعر بالرعب حينما تتلامس أيدينا . . أصرخ فى داخلى وأنا أحدق فى عيون الناس وهى تلتهم مشاعرنا . . كل ما حولنا يشعرنا أننا على خطأ .

أجىء إليك وكلى شوق . . أجلس معك وكلى خوف . . أفارقك وكلى حزن . . كيف أواجه كل هذا التناقض فى مشاعرى . .

قلت : أوافقك أننا نعيش زمان الخوف . . كل ما حولنا يرصدنا ويفسد علينا كل لحظة سعيدة يمكن أن نعيشها . . المشكلة أننا محاصرون رغم أن الأرض واسعة . . العالم ضيق حولنا . . رغم أن هناك مساحات شاسعة من الأرض .

تقيدنا عادات وتقاليد واستمارات وأوراق رسمية وغير رسمية . .

قيد أنفسنا بعشرات القيود . . وإذا حاولنا أن نحطم قيداً فإن الحب هو القيد الوحيد الذى نسعى لتكسيره .

قالت : لا نملك غير ذلك . .

قلت : المشكلة فى رأيك الآن أننا نحب بعضنا بعضا . . ليست المشكلة أن هناك قيوداً تحاصرنا . . السبب عندك هو الحب . . وليست القيود . .

قالت : القيود لم تظهر إلا مع الحب . . فلم تكن عندى مشاعر خوف قبلك .

قلت : إنك تخافين من الناس . . وأنا أخاف عليك . . تخافين القيود . . وأنت قيدى . .

لقد أحببت كل القيود فى عينيك . . إن الحب هو القيد الوحيد الذى نختاره .

قالت : لابد أن نفترق . . لم أعد أستطيع أن أتحمل مشاعر الخوف أكثر من هذا .

قلت : قد أوافقك على أن نفترق لكنك بذلك تدمرين أجمل ما فى حياتك وحياتى . .

قد نجد أشياء كثيرة فى الوقت المناسب . . قد نجد المال . . والشهرة . . والمجد . . والنجاح فى الوقت المناسب . . ولكن الحب لا أدرى لماذا لا يجىء فى الوقت المناسب . . من أجل هذا أشعر أننا قد نفترق الآن ولكننى واثق أننى لن أحب أحداً كما أحببتك . .

قالت : أنت شاعر والمرأة عندك قصيدة .. مجرد قصيدة ..

قلت : والله هذا ظلم للشعر وللشعراء ، حينما يبكى الشعراء لا يذرفون دموعاً ولكنهم ينزفون دما .. وحينما يحزن الشعراء لا تبكى عيونهم ولكن تبكى قلوبهم ..

وحينما يحب الشعراء تصبح الدنيا كلها فى عيون من أحبوا .. إنهم لا يحبون كثيراً كما يتصور الناس .. ولكنهم يشعرون بأشياء ربما لا يشعر بها الناس ..

قالت : ما الفرق بينهم وبين الناس ..

قلت : هو الفرق بين شعورى وشعورك الآن .. تريدين أن نفترق قد يكون ذلك مجرد لحظة حزن قصيرة يعيشها قلبك .. ولكننى أشعر أن قلبى ينزف داخلى لمجرد فكرة طرأت عليك .. أجلس أمامك الآن وأنا أتخيل غداً من غيرك أشعر أنه شىء مظلم كئيب .. أتخيل عينىَّ بدون بريق عينيك .. أتخيل شعرى بلا صوتك .. أتخيل أيامى بعيداً عنك .. كل هذا يدور فى رأسى كأنك بعدت عنى .. أشعر أن العالم ينتهى .. وأن الكرة الأرضية قد تغيرت مكوناتها وملامحها .. هناك بركان يتفجر داخلى الآن

قالت : أنت تبالغ فى كلامك .. كما تبالغ فى شعرك ..

قلت : أشعر أننى بالغت فى شىء واحد . لقد بالغت فى حبى

قالت : وأنـا أحببتـك . .

قلت : كل العشاق قالوا أحببنا . . ولكن هناك فرق بين عاشق مات بحبه وآخر نسيه فى أول محطة قطار .

قالت : أنت تتحدث عن أشياء لا وجود لها . . سوف تنسانى غداً . .

قلت : ما قيمة أن أقول لك أننى سوف أذكرك إذا كنا سنفترق الآن .

قالت : لن أنسى أننى أحببتك يوماً . .

قلت : ولن أنسى أننى كرهتـك يوماً . .

قالت : متى كرهتنـى . . ؟

قلت : الآن . . .



أجمـــل الأشيـــاء

سألتنى : ما أسواأ الأزمنة . . ؟

قلت : زمن تختلط فيه أقدار الناس . . يصبح الصغير كبيراً ويصبح الكبير صغيراً . . ويغدو فيه الجاهل عالماً . . ويصبح العالم جاهـلاً . . ويمـوت فيه أصحاب المواهب . . ويقفز على قمته الجهلاء . .

سألتنى : وأسوأ الأوطان . . ؟

قلت : وطن يعطيه الإنسان عمراً ويبخل عليه بساعة صفاء . .

سألتنى : وأسوأ المشاعر . . ؟

قلت : أن يصبح مصيرى فى يد لا تعرف قدرى وأن أنام خائفاً من أمسى ومنزعجاً من يومى . . ومتحسراً على غدى . .

قالت : وأسوأ الشعوب . . ؟

قلت : شعوب تمسك بها النيران من كل جانب ولا تحاول حتى أن تصرخ . . وتحيط بها النكبات من كل مكان . . ولا تحاول حتى أن ترفض . . ويحكمها الشر وترضى . . ويسود فيها الصغار وترضخ . . ويذبح الشرفاء فيها كل يوم . . وتضحك . .

قالت : وأسـوأ العقـول . . ؟

قلت : عقل يرفض كل شيء . . أو يقبل كل شيء . . يذكرني بمحطات القطارات ، باب للدخول وآخر للخروج . . ولا يبقى فيها أحد . .

قالت : وأسـوأ الرجـال . . ؟

قلت : رجـل أكـل على كل الموائد ولم يشبع . . ولم يرفض طعاماً ولا مكاناً حتى ولو أطعموه من صناديق القمامة . .

قالت : وأسـوأ النسـاء . . ؟

قلت : امرأة باعت نفسها لكل شيطان . .

قالت ؛ وأسـوأ الأيـام . . ؟

قلت : يوم أعطى الإنسان فيه نفسه ولم يدرك أنه كان مجرد صفقة . .

قالت وأسـوأ الذكريـات . . ؟

قلت : إنسان أحببته ولا أتمنى أن أراه .

قالت : ما أجمل الأزمنة . . ؟

قلت : زمان يعرف قدرى . . ينصفنى إذا أعطيت . . يعاقبنى إذا أخطأت . . لا مكان فيه لحاقد أو مزيف أو دجال .

قالت : وأجمل الأوطان . . ؟

قلت : وطن يعطينى بقدر عطائى . . ولا يخذلنى فى حبى .

قالت : وأجمل المشاعر . . ؟

قلت : لحظة أتمنى أن أعيشها ألف مرة ولا أشبع .

قالت : وأعظم الشعوب . . ؟

قلت : شعوب تصنع العدل بالحكمة . . وتقوم الحكام بالعدل . . وتطفىء النيران قبل أن تكبر . . وترفع كبارها . . وتعلى شرفاءها . .

قالت : وأفضل العقول . . ؟

قلت : عقل لا يمل البحث عن الحقيقة . .

قالت : وأفضل القلوب . . ؟

قلت : قلب لا يغيب عنه الصدق . .

قالت . وأسوأ الرجال . . ؟

قلت : الرجل حينما يدمن الجبن .

قالت : وأسوأ النساء . . ؟

قلت : المرأة حينما تدمن الرذيلة . .

قالت : وأسوأ الأيام . . ؟

قلت : يوم لا أحب أن أذكره . .

قالت : وأجمل الذكريات . . ؟

قلت : يوم لا أنساه . .

مؤلفات الشاعر
فاروق جويدة

* أوراق من حديقة أكتوبر « ديوان شعر »
* حبيبتي لا ترحلي « ديوان شعر »
* ويبقى الحب « ديوان شعر »
* أموال مصر كيف ضاعت « إقتصاد »
* وللأشواق عودة « ديوان شعر »
* في عينيك عنواني « ديوان شعر »
* دائماً أنت بقلبي .. « ديوان شعر »
* لأني أحبك « ديوان شعر »
* شيء سيبقى بيننا « ديوان شعر »
* طاوعني قلبي في النسيان « ديوان شعر »
* لن أبيع العمر « ديوان شعر »
* زمان القهر علمني « ديوان شعر »
* الوزير العاشق « مسرحية شعرية »
* دماء على ستار الكعبة « مسرحية شعرية »
* الأعمال الكاملة « فاروق جويدة »
* الوزير العاشق بالانجليزية ترجمة د. محمد عناني
* بلاد السحر والخيال « أدب رحلات »
* قالت . . .

الفهـــرس

رقم الإيداع ١٠٠٥٢ / ١٩٩١
I. S. B. N 977-215-056-5



لكن الأيام علمتني أن الشمس مهما غابت لابد أن تعود مرة أخرى . . وأن الخريف مهما حمل للأشجار أحزاناً سوف تعود فرحتها مع كل ربيع قادم . إننا نستطيع أن نبني فوق الأنقاض قصوراً . . وفوق الصحراء واحات جميلة . .

أعرف كم أنت حزينة . . وكم أنا مثلك حزين . .

لكن الأمل هو الشرارة التي نستطيع أن نضيء منها ظلام أيامنا وحزن ليالينا ونعيد الابتسامة إلى كل شيء حولنا .

إن الربيع القادم من بعيد يبشرني بأن حديقتنا الصغيرة الخالية ستعود أزهارها كما كانت . . وأن العصافير التي هاجرت عنا بعض الوقت سوف تعود مرة أخرى تغني لنا . .

الثمن ٣٠ قرشاً